
مجلة المنهل • المجلد: 08، العدد: 01 (2022 م) • ص ص 561 - 592
ISSN : 2437 - 1068 • EISSN 8392-2710

علم الكلام الجديد في مواجهة التحديات المعاصرة
ـ قراءة في رؤية التجديد عند العلامة وحيد الدين خان ـ

New speech science in the face of contemporary challenges
-A reading in the renovation vision of the scholar Wahiduddin Khan

ط د. شامة مقيدش (*)
مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
جامعة الوادي (الجزائر)
Mekideche-chama@univ-eloued.dz

أد. عبد الرحمن تركي
مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
جامعة الوادي (الجزائر)
tourki-a.rahman@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2022/02/14	2022/05/22	2022/06/13



ملخص:

يعتبر علم الكلام من أهم العلوم الإسلامية التي أخذت اهتماما واسعا في العصر الوسيط والمعاصر، إذ تجاذب هذا العلم الكثير من الآراء المتعددة والمختلفة التي تلخصت عبر قرون عديدة في خبرة كلامية ضخمة قائمة على موضوع ومقاصد انفرد بها هذا العلم. وحاز هذا الأخير على أهمية تمثلت في كونه أصل العلوم الإسلامية إذ يهتم بالتوحيد وهو الأصل الأول الذي تنبني عليه مرتكزات الإنسان المسلم كلها. وتتمثل أشهر هذه الآراء التي جعلت علم الكلام موضوعا لها في الآراء التي تهتم بالجانب النقدي لهذا العلم بهدف تقديم مراجعة موضوعية لمفرزاته وآثاره الممتدة إلى واقع المسلم ومن ثم المساهمة في تجديده بناء على مبررات معرفية وعملية.

فهذه المراجعات القائمة على أسس علمية منهجية تكشف عن حقيقة تفاعل العقل المسلم مع أصوله الأولى وعن كيفية إخراجها بوجهها العملي في واقعه، وهذا ما يسعى إليه هذا البحث وذلك من خلال الكشف عن خصائص المراجعة النقدية لهذا العلم في رؤية وحيد الدين خان. خلص الوقوف عند هذه المراجعة النقدية إلى معرفة آثارها ودورها في تجديد علم الكلام ونقله من الطرح التجريدي إلى الطرح العلمي التجريبي، وتحيين وظيفته بما يتناسب مع دعاوي التحديات المعاصرة من إلحاد وتشويه للدين الإسلامي بناء على نتائج العلم الحديث.

الكلمات المفتاحية:

علم الكلام الجديد؛ وحيد الدين خان؛ التحديات الفكرية؛ التجديد.

Abstract :

Theology is one of the most important Islamic sciences that has taken a wide interest in medieval and contemporary times. This science attracted significant various views that have been summed up over many centuries in a great deal of discourse based on its unique subject and purpose. This science

(*) المؤلف المراسل.

acquired the importance of being the origin of Islamic sciences and is concerned with monotheism. It is the first origin on which all the foundations of Muslim humans are built. The most famous of these opinions, which have made theology their subject, are those concerned with the critical aspect of this science to provide an objective review for its effects that extend to the reality of the Muslim. These methodological scientific reviews show how the Muslim mind has interacted with its earliest origins and put them into practice. This is what this research seeks to achieve by revealing the characteristics of the critical review of this science in the vision of Wahiduddin Khan. Identifying the characteristics of this critical review has led us to learn its effects and role in transferring theology from abstract presentation to experimental scientific presentation.

Keywords:
New speech science; Wahiduddin Khan; intellectual challenges; renovation.

1.مقدمة:

باعتبار علم الكلام علما أصيلا يهتم بالدفاع عن العقيدة الإسلامية وإثباتها، كان لزاما أن يتوافق ومستجدات العصر من القضايا والتحديات التي لا تنفك عن تشويه هذه العقيدة ومحاولة إلغائها من الفعل في حياة المسلم. فتبعا لهذه المستجدات تغير مسار الكلام الكلاسيكي إلى مسار تجديدي يهدف إلى صناعة المعرفة وتأسيسها، وبالرغم من مضي قرنين من الزمن على ظهور إرهاصات هذا المسار التجديدي، إلا أنه لم يأخذ ولم تتشكل صيغته النهائية من حيث مفهومه ومناهجه وموضوعاته ومبانيه المعرفية، مما ساهم في تعقيد مهمة مواكبة مختلف التحديات في ظل التحول السريع القائم على مختلف العلوم التجريبية الذي يشهده العالم. وفي ظل الحاجة الملحة لمراجعة نقدية موضوعية تراثية شاملة ومعمقة، برزت بعض المشاريع الفردية التي أخذت على عاتقها مراجعة علم الكلام بصورته القديمة، ونقله من التجريد إلى الاستدلال العلمي الذي يتناسب والعقلية التجريبية المعاصرة، فقد كان المفكر وحيد الدين صوتا تجديديا ناقدا برز في الهند لمواجهة أحد أبرز التحديات المتمثلة في الإلحاد وإنكار الدين بناء على ما توصل إليه البحث العلمي، من خلال المشاهدة والتجربة التي خلصت نتائجهما إلى إنكار دور الإله ومن ثم إنكار وجوده.

إن ما قدمه وحيد الدين خان تجربة تجديدية قائمة على خطة منهجية هدفها درء التعارض بين الدين والعلم، ومن ثم نصرة الإسلام وعقائده والدعوة إليه بما يوافق آليات استيعاب العقل الحديث، إضافة إلى تثبيت قلوب المسلمين، وتقديم أجوبة واضحة تسدّ كل منافذ الشك وزعزعة الإيمان بالإله ووحدانيته. فمن أجل معرفة دور مشروعه التجديدي في نصرة الإسلام؛ والذي خاضه من خلال تطبيق مفهوم علم الكلام القرآني على مختلف القضايا التي تشكل تحديا للدين، حري بنا الكشف عن مفهوم وأسس التجديد الديني في فكره، ومن ثم تشكيل رؤية واضحة عن مراجعته النقدية للكلام الكلاسيكي ومبررات التجديد التي انطلق منها لصياغة علم الكلام القرآني وفق منهج له خصائصه ومميزاته.

في ضوء ما سبق، نطرح الإشكالية التالية: ما هو واقع الكلام الجديد في الدراسات المعاصرة؟ وما مفهوم التجديد الديني في فكر وحيد الدين خان؟ وما هي المبادئ التي قام عليها علم الكلام القرآني؟ وما أهم خصائص المنهج الكلامي الجديد في مواجهة التحديات ونصرة القضايا العقدية؟

منهج البحث

إن الإجابة عن الإشكالية البحثية اقتضت اعتماد المناهج البحثية التالية بشكل متكامل:

-المنهج الاستقرائي: وذلك في عملية استقراء وجمع المفاهيم الأساسية لهذا البحث والمتعلقة بمفهوم التجديد والكلام الجديد، بالإضافة إلى توظيفه في قراءة مؤلفات وحيد الدين خان من أجل استقراء مفهوم التجديد الديني والكلامي عنده واستخراج تطبيقات هذا التجديد على مختلف القضايا المعاصرة.

-المنهج التحليلي النقدي: إن عملية دراسة المفاهيم الأساسية للبحث وضبطها إضافة لإبراز معالم التجديد والمنهج عند وحيد الدين خان تحتاج للمنهجين التحليلي النقدي. فمن خلال التحليل يمكن الانتقال إلى خطوة النقد ومن ثم تقييم هذا الجهد التجديدي وإبراز مكامن الاستفادة منها والنقاط التي يمكن تجاوزها لتكرارها أو عدم فاعليتها مع قضايا العصر.

خطة العمل:

1- مقدمة.

2- المطلب الأول: علم الكلام في ضوء الدراسات المعاصرة.

3- المطلب الثاني: مفهوم الكلام الجديد عند وحيد الدين خان.

4- المطلب الثالث: خصائص المنهج في مواجهة التحديات المعاصرة.

5- خاتمة: أهم النتائج.

2. المطلب الأول: علم الكلام في ضوء الدراسات المعاصرة

2،1.تاريخية علم الكلام:

من الحقائق التي يعرضها علينا تاريخ الفكر البشري-بما في ذلك تاريخ العلم -أن الناس يبدؤون في ممارسة نوع من المعرفة قبل أن يسمّوه تسمية تخصه دون المعارف الأخرى، ويأتي هذا دائما في مرحلة لاحقة. ويعتبر علم الكلام من العلوم التي مرت بهذه المراحل في الحضارة العربية، فقد تكلم الناس وخاضوا في علم الكلام قبل أن يطلقوه على جملة من المسائل التي صارت موضوعا لنوع خاص من الخطاب اسمه علم الكلام (ابن رشد، 2001، الصفحات 12-13). فعلماء الإسلام دونوا هذا العلم

لإثبات العقائد الدينية المتعلقة بالصانع وصفاته وأفعاله وما يتفرع عنها من مباحث النبوة والمعاد، حيث توصلوا بهذا العلم إلى إعلاء كلمة الحق في هاته العقائد ولم يكونوا محتاجين فيه لعلم آخر، فقد أخذوا موضوعه على وجه يتناول تلك العقائد والمباحث النظرية التي تتوقف عليها سواء باعتبار أدلتها أو صورها، فكان جميع ذلك مقاصد مطلوبة في هذا العلم، فكان مستغنيا في نفسه عن غيره. (بدوي ع.، 1997، صفحة 12)

وبهذا كان علم الكلام أهم الفروع الإسلامية وأكثرها أصالة، حيث يبدو فيه ابتكار المسلمين ووضوح العنصر الإسلامي أكثر من غيره، فهو خير ممثل للتراث الفكري وخاصة في البدايات الأولى قبل اختلاطه بالتأثيرات الخارجية الأجنبية (المغربي، 1995، صفحة 5)، " فهو العلم الأعلى الذي تنتهي إليه العلوم الشرعية كلّها وفيه تثبت موضوعاتها وحيثياتها، فليست له مبادئ تبين في علم آخر، شرعيا أو غيره، بل مبادئه مبينة بنفسها أو مبينة فيه... فتستمد العلوم الشرعية أصولها من علم الكلام وهو لا يستمد من غيره، فهو رئيس العلوم الشرعية على الإطلاق والجملة" (بدوي ع.، 1997، صفحة 11).

وعليه يشتغل علم الكلام بالبحث ابتداء في أصول الدين على أساس عقلي، ثم يتفرع إلى البحث في أمهات المسائل الدينية، فهو يهدف إلى فهم وتبيين مضمون الإيمان وما تعلق به من عقائد، وإلى نصرة العقيدة الدينية (عباس، 2017، صفحة 168). فاستنادا للمعيار الذي تقوّم به العلوم، يستوفي علم الكلام شروط تسميته بالعلم، فما من علم إلاّ يقوم على موضوع وغاية، وموضوعه العقائد والأصول الدينية، وقد حاز علم الكلام على وظيفتين هما شرح وتقديم العقائد للمتلقي وتبسيطها للفهم، والدفاع عنها بإبطال الشبهات والأباطيل التي تطالها بالخطأ أو بالقصد، سواء كانت داخلية أو خارجية.

فعلم الكلام، باتفاق العلماء إسلامي النشأة، ابتدعه العرب المسلمون كغيره من العلوم التي نشأت من خلال مدارسة القرآن والسنة، وقد اهتم المشتغلون به بوضع تعريفات متعددة تظهر مدى اهتمام العقل الإسلامي بهذا العلم ومدى استيعاب مضمون ومقاصد هذا العلم، إذ "تعد تعريفات علم الكلام التي قدمها علماؤه ومؤرخوه من الشواهد التي تشهد على أصالته، فجلّ تعريفاتهم تسند علم الكلام إلى الدين وأصوله" (التميمي، 2018، صفحة 33).ويعتبر سياق تعريف علم الكلام، في وقت لاحق عن تعاريف العلماء الذين سبقوا بتعاريفهم، سياقا لا يخرج عن التكرار والنسخ والتفصيل الذي قد يستنتج من التعاريف الأولى، وهذا السياق يدخل في مفهوم أزمة الركود التي طالت هذا العلم قرونا طويلة، وعلى الرغم من تميز التعريفات عن بعضها البعض على مرّ القرون، إلا أنها اتفقت على منزلة وشرف علم الكلام من بين العلوم الأخرى، فهو أشرف العلوم إذ يمثّل الأصل وما دونه فروعٌ، وذلك لتعلقه بالذات الإلهية وصفاتها

وأفعالها، فالتوحيد مدار البحث فيه، فكان موضوع علم الكلام التوحيد وما تعلق به من عقائد دينية إسلامية بإثباتها والدفاع عنها، وهذا مقصد وغاية علم الكلام. كما اهتمت التعريفات بتحديد منهج علم الكلام حيث يزاوج بين العقل والنقل في الاستدلال.

2.2ـ مفهوم علم الكلام الجديد:

بالانتقال إلى الدراسات المعاصرة التي تناولت علم الكلام وجعلت منه مجالا لأسئلتها والبحث فيها، نجد أنها تجاوزت الاتجاه الكلاسيكي الذي يقوم في مباحثه على التقليد من حيث المضمون، بل حتى من حيث المقصد والغاية من الاهتمام بعلم الكلام ومن حيث البحث في ماهية علم الكلام، فلم تصبح إشكالية البحث عن مفهوم علم الكلام إشكالية حقيقية ترتبط بالواقع المعاصر، فمنذ قرون خلت اتفق الرأي الفكري الإسلامي على ماهية علم الكلام تعريفا وغاية وموضوعا وما تعلق بمباحث وفروع، فحدوده مضبوطة وهو جزء لا يتجزأ من دائرة العلوم الإسلامية والإنسانية التي ابتكرها العقل الإنساني نتيجة تفاعله مع النصوص الدينية للقرآن والسنة، فهذا لم يعد يخفى اليوم حتى عند غير المتخصصين، فمن اليسير الإحاطة بماهية الكلام بصورته الأولى، فقد انتقل الاتجاه المعاصر من البحث في ماهية علم الكلام إلى محاولة التجديد في علم الكلام والبحث عن تفعيل هذا العلم الأصيل بما يتوافق وراهن الإنسان، فالبحث الكلامي اليوم يتجه إلى مراجعة مفهومية عميقة لمقاصد ودور علم الكلام الذي انحصر في المقصد الدفاعي عن العقيدة الخاتمة المرسلة للعالمين.

"وتعود بذور التفكير الكلامي الجديد في الساحة الإسلامية إلى القرن التاسع عشر الميلادي، أي إلى زمن شروع التحديات الفكرية والثقافية الغربية التي رافقت الاستعمار الغربي الفرنسي والبريطاني للعالم الإسلامي. وقد كان للمستشرقين دور فاعل في تكوين هذا الجوّ العام نتيجة الانتقادات الحادة التي وجّهوها إلى كافة مرافق الفكر الإسلامي، لاسيما السنّة النبوية الشريفة، حيث انبرى جيل من العلماء في تلك الفترة لمواجهة هذا الواقع الفكري المرفوض في الوسط الديني، وكان أبرز هؤلاء السيد جمال الدين الأفغاني في رده على الدهريين، وجاء بعد ذلك جيل آخر مثّله الشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا وغيرهم، فسجّلوا أبحاثا هامة على هذا الصعيد، إلى أن ظهر أعلام آخرون أثروا الدرس الكلامي أمثال العلامة الطبطبائي وتلميذه مرتضى مطهري، والدكتور على شريعتي وسيد قطب والسيد محمد باقر الصدر والمفكر مالك بن نبي وغيرهم، فأغنوا الدرس الكلامي بالكثير من الدراسات والأبحاث القيمة مع عشرات من العلماء الآخرين في شتى أنحاء العالم الإسلامي"(حب الله ، 2003، صفحة 217).

فأثناء المحاولة لطرح سؤال حول ماهية التجديد الكلامي، ظهر مصطلح "الكلام الجديد"، فكانت أول عقبة أمام الدراسات المعاصرة هي تحديد مفهوم هذا المصطلح وتعريفه وتمييزه عن الممارسة الكلامية

الأولى، وفي البداية وقع تفرق في الرأي المعاصر على هذا المفهوم الذي لا يزال يشكل محور تعارض فكري بين مختلف الاتجاهات التجديدية.

إن أول ما يصادفه المتلقي في هذا التركيب المصطلحي "علم الكلام الجديد" هو مفردة "الجديد"، فهذه المفردة فتحت أبوابا واسعة لطرح التساؤلات المختلفة حول ما إذا كان هناك كلام قديم وكلام جديد؟ وبناء على هذا السؤال الرئيسي الذي يخبر عن حالة التعارض في المشاريع التجديدية المعاصرة التي تتبنى كلّ منها مفهوما خاصا للتجديد، وُضعت معاني لتجديد علم الكلام كتوجّه بحثي جديد "، فقد ذهب البعض إلى أن تجديد علم الكلام لا يعني سوى دمج المسائل الجديدة واستيعابها في إطار المنظومة الموروثة، فمتى ما انضمت مسائل أخرى لعلم الكلام تجدّد هذا العلم، فيما ذهب غيرهم إلى أن مفهوم تجديد علم الكلام لا يقتصر على ضمّ مسائل جديدة فحسب، وإنما يتسع ليشمل الجديد في: المسائل والهدف، والمناهج، والموضوع، واللغة، والمباني، والهندسة المعرفية"(الرفاعي، 2016، صفحة 43).

فالتجديد في المسائل يعني توالد مسائل جديدة، نتيجة للأسئلة المستحدثة، أما التجديد في الهدف يتجاوز الدفاع عن المعتقدات إلى تحليل حقيقة الإيمان، وكما أن التجديد في المناهج معناه الانفتاح على مناهج متعددة في البحث الكلامي تشمل المناهج الهرمنيوطيقية، والسيميائية، والتجريبية، والبرهانية، وظواهر النصوص والحقائق التاريخية، متجاوزين في ذلك المنهج الأحادي. أما التحول في الموضوع فهو الخروج من الاهتمام بالقضايا الكلاسيكية إلى نطاق يستوعب كافة القضايا المتضمنة في النصوص المقدسة، سواء منها الناظرة إلى الواقع أو الناظرة إلى الأخلاق والقيم. أما التجديد في اللغة فيتحقق بالانتقال من لغة المتكلمين القديمة التي اضمحلت حساسيتها وطاقتها في استعياب المعاني المركبة، إلى لغة حديثة تستقي من المكاسب الجديدة للمعرفة والفنون والآداب، معبرة بذلك عن فهم جديد للطبيعة البشرية وحقوق وحريات الإنسان، ولابدّ من التجديد في المباني موازاة للتجديد في اللغة، فالمتكلم قديما اهتم بترسيم مباني خاصّة في المعرفة تستند إلى المنطق الأرسطي والفلسفة اليونانية واستمر عليها، بينما انهارت بعض تلك المباني حين اخترقت الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة جدار الواقعية الأرسطية وتزايد الحديث عن واقعيات معقدة، كالواقعية التخمينية، وتعرض المفهوم التقليدي للعقل لعاصفة نقدية استهلت بفلسفة "بيكون" و"ديكارت" وبلغت نضجها مع "إيمانويل كانط"، واكتست من بعده صياغات متنوعة، بالإفادة من معطيات فلسفة العلم والتطور العميق في الفيزياء والعلوم والمعارف البشرية، فذلك كلّه يستدعي استئناف النظر في المباني والمتركزات الماضية لعلم الكلام (الرفاعي، 2021، الصفحات 145ـ146).

وبامتداد التجديد إلى هذه الأبعاد المختلفة ستشهد الهندسة المعرفية لعلم الكلام تحديثا، فأي تحول في أحد أبعاد كل علم يستتبعه تحول في سائر الأبعاد الأخرى، وهذا يعني تخلخل المنظومة السابقة للعلم وحدوث منظومة بديلة (الرفاعي، 2021، صفحة 147). لكن هذا التصور لتجديد علم الكلام لا يتضمن رسم حدود دقيقة بين علم الكلام وفلسفة الدين، إضافة إلى أنه يخلط بين الكلام الجديد والإلهيات المسيحية الحديثة (قراملكي، 1998، الصفحات 10-12).

وتعتبر التسمية في هذا المشروع الجديد إشكالية لها مضاميرها التي شكّلت محلّ اختلاف حادّ بين المشتغلين بهذا العلم، فالاختلاف حول المصطلح يربك عملية تصور شاملة لمضمونه ويمنع الالتقاء بين المشاريع، أو على الأقلّ لا يسمح لها بخلق حوار يوجّه مضامين هذا التوجه الجديد. فللمصطلح دور هام في العلوم، فوظيفته المعرفية تتمثل في كونه" هو لغة العلم والمعرفة ولا وجود لعلم دون مجموعة مصطلحات، لذا أحسن علماؤنا القدامى صنعا حين جعلوا من المصطلحات مفاتيح للعلوم وأوائل الصناعات"(وغليسي، 2008، صفحة 42). فإذا كان المصطلح يتحكم في لغة العلم فإنّ نشوب أول الاختلافات حول تسمية علم الكلام الجديد مؤشر على اختلاف جوهري في لغة هذا العلم بين القائلين بالتسمية الجديدة والرافضين لها، ولكن بالرغم من شهرة هذا النزاع حول التسمية إلا أن التداول المعاصر استقر على تسمية "الكلام الجديد"، التي ظهرت لأول مرة كعنوان لكتاب شبلي النعماني" علم الكلام الجديد" عام استقر 1950 وقد ناقش في كتابه مجموعة من القضايا كتعدد الزوجات، والطلاق، وحقوق الأسرى التي يراها تشكل تحديا معاصرا على العقيدة الإسلامية (الرفاعي، 2005، صفحة 31) ومحاولة إبطالها من خلال إبطال الأحكام الشرعية التي تشكل جزءا من المنظومة الإسلامية إضافة إلى العقيدة، ومنه يمكن القول أن ما قدّمه في كتابه يدور حول فتح علم الكلام على مواضيع ومسائل جديدة، تختلف عن الشبهات التي كانت تثار حول مسائل العقيدة الإسلامية بذاتها.

فهذا المصطلح اكتسب مشروعيته وأخذ مساحة واسعة من التداول في البحوث الفكرية، ويمكن القول أن هذه المشروعية استمدتها كثرة استخدامه لكن هذا لا يمنع من البحث في الأسباب والمبررات التي جعلته متداولا(يوسفيان، 2016، صفحة 13) . وسيظلّ هذا المبحث الخلافي قائما بين المختلفين على هذه التسمية وعن مشروعية هذا العلم بهويته الجديدة، وفي ظلّ هذا الخلاف الذي يتأرجح بين إمكانية الرفض أو القبول وضعت العديد من التعريفات، اهتم بعضها بنقل وظيفة علم الكلام من الدفاع إلى شرح العقيدة وتبيينها، فهو" علم لا يهتم بإثبات تعاليم الدين وإبطال الآراء المعارضة، وإنما هو علم يهتم بتبيين الإيمان الذي ظهر مع الإسلام" (الرفاعي، 2002، صفحة 29). وقد ذهب البعض إلى القول أن علم الكلام الجديد " لا يعني سوى دمج المسائل الجديدة واستيعابها في إطار المنظومة

الموروثة لعلم الكلام، فمتى ما انضمت مسائل أخرى لعلم الكلام تجدد هذا العلم، فيما ذهب غيرهم إلى أن مفهوم تجديد علم الكلام يتسع ليشمل التجديد في المسائل والهدف والمناهج، واللغة والمباني والهندسة المعرفية"(الرفاعي، 2016، صفحة 29).

ويرى آخر أن علم الكلام الجديد هو تكامل القديم، أو هو مرحلة من الرشد العلمي والمنهجي والفكري لعلم الكلام الكلاسيكي، ولا فرق بين تعريف القديم والجديد سوى أنّ هناك تنوعا في وظائف علم الكلام القديم نتيجة ظهور حشد من الشبهات الجديدة (شقير، صفحة 16). ولكون علم الكلام الجديد يدور حول محور أكثر اتساعا وشمولية مما كان سابقا، فهو يبحث عن الأمور العقائدية والأخلاقية، بل عن بعض الأمور الفرعية المختلفة في مجالات شتى وهو ما يجمعه كلمة قضايا، وبناء على ذلك يمكن تعريفه بالقول هو علم يبحث في تبيين وإثبات القضايا الفكرية الإسلامية والدفاع عنها (بدوي، 2009، صفحة 102).

وبتخصيص عملية التجديد بالمنهج وإعادة تحيينه، عرف علم الكلام الجديد أنه "تجديد لمنهج عرض العقيدة الإسلامية بحيث تستعمل فيه الأساليب التي تقنع العقلية المعاصرة، وتكافئ في القوة الأساليب التي يستعملها الخصم في الهجوم (النجار، 1997، صفحة 23).

من خلال ما سبق يلاحظ أن تعريفات علم الكلام الجديد توحي بتعددية آراء متضاربة المقاصد والمرجعيات المعرفية، فهناك من يراه علما يختص بتجديد المسائل وإلحاق الجديد بالقديم، فيما يذهب آخرون لإعطائه وظيفة تنحصر في الدفاع والتأسيس للمذهبية، بينما ينظر الكثير إلى أن تجديد علم الكلام يمسّ هندسة نظامه المعرفي، حيث يطال التجديد مجموع المباني؛ الموضوع، والمسائل، والمنهج واللغة، والهدف. فالتأثر بالواقع الحداثي الغربي وبموقفه من اللاهوت المسيحي واليهودي ظاهر جليّ في بعض هذه الآراء التي تتوسل التجربة الحداثية في إعادة قراءة الخبرة الكلامية وتجديدها، وذلك استجابة للضرورة المعرفية والملحة لتجديد علم الكلام في الوقت المعاصر الذي يبحث الجميع من خلاله عن وضع إجابة لسؤال الأمة الراهن حول تخلّف المسلمين وإدراك سبل التطور ورفع حالة الهوان الذي طال الواقع والعلوم كافّة.

فاختلاف الرؤى في مفهوم علم الكلام وعدم وجود اتفاق وإجماع على مفهومه بيْنَ مختلف التوجّهات التي تدرسه اليوم وتدرس من خلاله الواقع لم يكن عائقا أمام تناول المواضيع والمستجدات، فكلّ صاحب رأي يأخذ المستجدات ويحاول مناقشتها انطلاقا من وجهة نظره وتصوّره لوظيفة هذا العلم، سواء كان تصورا مقرونا بالكلام القديم أو مفصولا عنه، فالحديث عن رؤية متكاملة لعلم الكلام لا يزال في مقدمة طريق طويل أمام هذا العلم الذي يواجه تحديات داخلية تتمثل في عدم الوضوح والاتفاق، و تحديات

خارجية تتمثل في الهجمات الشرسة المقصودة على الإسلام، وفي موجة التغريب والعولمة في مختلف الميادين التي لاقت استقطابا كبيرا في الشعوب المتخلفة والضعيفة التي سُوّق إليها أن الدين مصدر التخلف وهو عائق بين حرية العقل وإبداعه.

2،3. **مبررات ودواعي التجديد**:

للبحث في علم الكلام الجديد أهمية بالغة ترتبط بكون الدين وحقائقه ضرورة تلازم الإنسان على مر العصور، و "على الرغم مما قام به علماء الكلام فيما مضى من جهود مشكورة في بيان وإثبات الفكر الديني على وجه العموم، فإنه لا يمكن القول أنّ ما جاءوا به، قياسا بما وصل إليه الفكر البشري اليوم من تقدم على صعيد العلوم والمناهج واللغة والفلسفة، كاف لقول كلمة الفصل في مختلف القضايا الفكرية المعاصرة وذلك لقصوره عنها في اهتماماته ومستوى تركيزه. فمجال اهتمام علماء الكلام السابقين لم يكن يتعدى العقائد والأصول، ومستوى تركيزهم لم يكن سوى محاولات لإثبات الرأي ونقض الرأي المضاد دون أن يتعدى ذلك إلى البحث عن الحقيقة المجردة القائمة على أسس من العقلانية العلمية والفلسفية، من هنا كان لابد من بثّ روح جديدة في علم الكلام تخول له النهوض بما أوكل إليه من أعباء الدفاع عن الإسلام وتمكنه من مواكبة التطور الفكري الذي يعيشه العالم اليوم" (بدوي، 2009، الصفحات 8-9).

إن الحديث عن تجديد علم الكلام في الوقت الراهن قائم على مبررات معرفية، إذ سبق هذه الدعوى التجديدية مراجعة مفهومية وتاريخية لتاريخ علم الكلام منذ نشأته حتى فترة الركود، "فالتجديد حاجة رئيسية لتطور الفكر وقدرته على التأثير على الحضارة، فلم يخل أي مجال معرفي في السياق الإسلامي من حركة تجديدية طورت مناهجه ومقولاته وتمثلاته في الواقع الحضاري، إذ تعبر طبقات المفكرين داخل كل مدرسة عن روح هذا التجديد في علاقة حركة الفكر بحركة الواقع، وتلزم الباحث مقاربة المشكلات المعرفية ضمن مقاصدها التجديدية" (المستيري، 2019، صفحة 11).

وترجع بدايات هذه الدعوة إلى ما تم التوصل إليه من مراجعات أثبتت أن علم الكلام شهد واقعا متأزما لبث معه قرونا من الزمن، حيث أفرز هذا الواقع المتأزم عن مظاهر تنبئ عن اهتراء الممارسة الكلامية، وخاصة بعد استفحال ثقافة النزاع بين المذاهب والآراء، حيث مهدت هذه الثقافة لأخطر مظهر معرفي وهو الانفصال المعرفي للإنتاج الكلامي عن الواقع ومشكلاته (الكيلاني، 2017، صفحة 63)، فبسبب ما طرأ على الكلام من انفصال عن الواقع في التأليف، والتدريس، صار يخاطب العقل ولا يحرك الوجدان، فنضب تأثيره النفسي في حياة الفرد والمجتمع وغدا مجرد جدل عقيم ومحاكمات وتحليلات معقدة لنظريات لا يمكن أن تغير شيئا في حياة المسلمين أو تحدث في نفوسهم أثرا، فتخلى علم الكلام عن مكانته التي كانت له في المرحلة الأولى حين كان يرد على خصوم الإسلام بالحجج الدامغة ويحفظ

للعقيدة تماسكها ووحدتها (القلالي، 2020، صفحة 84)، فضلا عن كون هاته الممارسات الكلامية بصورتها القديمة عاجزة عن حلّ القضايا الفكرية مع الفلسفات الجاحدة لكل ما هو ديني، ولا تنهي الصراع مع سلوكيات الحضارة الغربية في إطار العولمة، ولن تقف أمام طغيان الجاهلية العالمية والأخلاقيات الناتجة في إطار العولمة"(محسن، 2002، الصفحات 71-72)

وقد اعتبر المفكر "مالك بن نبي" الخبرة الكلامية في مرحلة الركود من معوقات النهضة الحضارية، فقد تحول الخطاب الديني عامة والدرس الكلامي إلى خطاب يُنظّر للتفرقة وتحطيم الوحدة الإسلامية، وذلك نتيجة الخلافات والنعرات الحاصلة بين الفرق التي جعلت من علم الكلام علما يُمجّد الجدال ويشوه المشكلة الإسلامية ويفسد طبيعتها، إذ فقد علم الكلام بصورته الجدلية السجالية قدرته على تفعيل الوظيفة الاجتماعية للدين لأن المسلم لم يعد بحاجة لإثبات وجود الله، ولن يستفيد من مدرسة تعلمه هذا وواقعه مفصول عن مبادئ الرجوع للسلف (بن نبي، 2017، صفحة 546).

فمرحلة القصور التي عاشت خلالها الممارسة الكلامية كانت مبررا لتجاوز الكلام القديم، وإعادة بناء التفكير الكلامي في إطار استفهامات العصر ومعارفه بعد فترة الركود التي شهدها علم الكلام أين استهلك فاعليته بعد انتقاله إلى التأليف القائم على الشروح، وإعادة إنتاج ثقافة النزاع بين المدارس الكلامية، حيث رسخت هذه الثقافة لأخطر مظهر معرفي وهو الانفصال المعرفي بين الواقع ومشكلاته، حيث انفصلت أصول الدين وفاعليتها في حياة المجتمع الإسلامي الذي بدأت تظهر عليه مشاكل فكرية متنوعة بالتخلف في مختلف الميادين، إذ تحول الدين في هذا الجو إلى مجرد تقليد وبدأت الأمة تنحدر من مراتب حضارتها بعد أن نمت هذه الحضارة في ظلال الدين الحنيف وتطبيقاته المرتبطة ارتباطا وثيقا بالواقع، فالحركة المستمرة للزمن عبر التاريخ تتطلب تجاوز تلك القضايا الخلافية من الماضي، فسياقاتها التاريخية لم تعد قائمة اليوم، فاستمرارها يجعل المجتمع يخرج من الفعل التاريخي مكتفيا بالهامش والجدال المجرّد .

ويعزى هذا الركود إلى القصور في علم الكلام التقليدي والذي تمثل فيما يلي:

1- هيمنة المنطق الأرسطي على الممارسات الكلامية، إذ تم العامل معه كمسلمات أساسية في البحث الكلامي حيث كان هو الركيزة الأولى في الاستدلال على المقولات والمسائل، مما حوّل الممارسة الكلامية إلى سجال يعمد فيه كل طرف إلى إبطال حجة الطرف الآخر بالاعتماد على المحاجة الآرسطية، حتى وصل البعض منهم إلى اعتبار المنطق ومناهجه في الاستدلال حقائق نهائية وبديهيات لا نقاش فيها.

2- النزعة التجريدية أو الفصام بين النظر والعمل، وهي من نتائج تشبع الممارسة الكلامية بالمنطق الأرسطي، فانحرفت وجهته وذهب يبحث عن عوالم ذهنية مجردة بعيدة عن الواقع وتداعياته، فتغلبت النزعة التجريدية على المنحى الواقعي في التفكير الكلامي، فتحوّل علم الكلام على إثرها إلى مشاغل عقلية من دون أن تكون له علاقة بحركة الحياة والواقع، وهذا بعدما كان علم الكلام يحاول تقريب وتبيين العقيدة الإسلامية وتفعيل آثارها في الواقع، وهذه النزعة التجريدية كانت تميز مختلف العلوم الإسلامية فأصبحت لا تتخطى عوالم الذهن منفصلة عن تدبير شؤون المسلم، وبهذا الإيغال في التجريد كان منشأ تغليب النظر عن العمل وإهمال العلوم العملية لحساب النظرية.

3- تفريغ علم الكلام من مضمونه الاجتماعي: وهي إحدى أبعاد سيطرة المنطق الأرسطي، حيث أدى علم الكلام الذي تم صياغته لاحقا إلى تعميق البعد النظري في العقيدة وتفريغ التوحيد ومفاهيمه الكامنة في العقيدة من المضمون العملي؛ فأصبح المسلم ضعيف الشعور بالغايات السلوكية للتوحيد، فغابت أخلاقيات وسلوكيات التوحيد عن واقعه وبقيت عالقة كتصورات في ذهنه. ففقدان الإشعاع الأخلاقي لهذا الدين أثر على حياة التضامن والأخوة في المجتمع الإسلامي.

4ـ تراجع دور العقل وشيوع التقليد في علم الكلام: ويظهر هذا القصور على مستوى المنهج الذي سيطر على الممارسات الكلامية، إذ كان المتكلم يبني استدلاله بناء على الإيمان بالمسلمات القبلية ثم يستدل عليها بمقدمات قد تكون يقينية أو قد تكون غير ذلك، فيصبح القياس الكلامي بذلك جدليا، مما أدى إلى تراجع دور العقل والنزوع إلى تقليد أعلام المتكلمين في كل مذهب(الرفاعي، 2021، الصفحات 22ـ27)،ويقول الطبطبائي عن آثار هذا المنهج أنه قد "كان فيما ترتب من آثار هذا المنهج أن اتخذ أتباع كلّ مذهب من المذاهب الإسلامية، إجماع أهل ذلك المذهب على ما هو متداول بينهم من عقائد، حجة تكون رديفة للكتاب والسنة، وبهذا الترتيب سقطت حجية العقل-حتى لو كان بديهيا-كليا عن الاستقلال، ولم تعد له قدرة على الفعل والحركة" (الطبطبائي، 1416ه، الصفحات 82ـ83).

3. المطلب الثاني: مفهوم الكلام الجديد عند وحيد الدين خان

3،1. التجديد الديني في فكر وحيد الدين خان:

يعتبر العلامة وحيد الدين خان من أبرز العلماء الذين دعوا إلى التجديد الديني، حيث اعتبر التجديد خطوة مهمة في مقابل الانحطاط الديني الذي يعني"بقاء الدين في مستوى القسوة القلبية وضياعه في مستوى الخشوع، إن دين الخشوع موطنه القلب أما دين القسوة فلا يبرح الأعضاء والجوارح الخارجية فلا يكون جزءا من الشعور حتى يلهب وجدان المرء ويحكم حياته الداخلية والخارجية"(خان ، 2015،

صفحة 3). فالانحطاط الديني لا يعني زوال كل مظاهر التمسّك بالدّين أو انصراف الناس عن القضايا الدينية، وإنما هو انفصال وجدانه عن الشعور الديني القوي الذي يؤثر في مفاهيمه الذاتية وتصوراته ويحكم حياته الخارجية. ثم إنّ هذا الانحطاط الديني ينتج عن تحويل حقيقة الدّين إلى فنون وممارسات لغتها الميزان والمكيال اللذان يتناولان الجوانب الظاهرية من الدين ولا يستطيعان تناول الحقائق القلبية والوجدانية السامية، ومن أمثلة التحول من فهم حقيقة الدين إلى فنون تأخذ الظاهر، توجه حملة كتاب الله لتحويل مفهوم العبادة من مستوى خشوع القلب واتجاهه لله إلى مستوى العمل الظاهري وذلك في المكيال الفقهي، حيث يهتم بتحقيق وجه العبادة حرفيا وفصلها عن دورها الوجداني في قلب المسلم، فالعبادات أوجدت لتحقق شروطا ظاهرية وشروطا وجدانية، وهو الحال نفسه في فن التصوف الذي أخرج الروحانية من مستوى استحضار الرب واليوم الآخر إلى مستوى ظاهري، يتم عن طريق التمارين التي توضع بميزان ومكيال تحت إشراف مرشدين، فهذا التوجه في فن التصوف يشبه مسار التوبة في الفكر المسيحي الذي يكون فيه رجال الدين واسطة بين الرب والمذنب، فيغيب الاتصال المباشر بين الإنسان وخالقه، وكما تقع الدعوة لرسل الحق في متاهة الميزان الظاهري حين تنقل الدعوة لرسل الحق من غاية النصح للعباد إلى مظاهر الخطب والمناظرات والحركات الاحتجاجية (خان ، تجديد علوم الدين، 2015، صفحة 4).

إن الانحطاط الديني هو نتاج لوقوع حملة كتاب الله في مسار القسوة، أين يتم تحويل الدين إلى فنون بميزان ومكيال ولغة تكون عاجزة فيه عن تناول حقيقة القلب والوجدان الداخلي، فيكون الشائع فيها تغليب الممارسة الظاهرية على الخشوع، و محاولة فهم تأثير الدين على الوجدان، ونتيجة لهذه الممارسات دعا وحيد الدين خان إلى التجديد الديني "بتطهير دين الله من إضافات البشر، لأن هذه الإضافات هي التي صاغت هذا الفكر الذي أدى إلى ظهور القسوة القلبية، إن التدين الحقيقي ينبع من دين الله ورسوله، وليس من دين يضعه البشر" (خان ، تجديد علوم الدين، 2015، صفحة 4).

فدعوة وحيد الدين خان لتجديد الدين كانت وفق رؤية واضحة تمثلت في الخطوات التالية:

1- مراجعة العلوم الدينية:

أولا: راجع وحيد الدين خان وظيفة ومسار العلوم الدينية القائمة على حقائق الدين وذلك على مر قرون عديدة، إذ خلص إلى اختلاط الدين بإضافات البشر ممّا أفضى للانحطاط الديني وضياع الحقيقة الدينية، وبذلك انتقلت العلوم الدينية من مستوى التأثير في قلب ووجدان المسلم إلى مستوى لا يتجاوز في تأثيره الظاهر ولا يلامس حقيقة الدين.

ثانيا: بحث وحيد الدين خان في أسباب اختلاط الإضافات البشرية بالدين الإسلامي، وقد تمثلت في سببين:

- محاولة تعيين حقيقة الدين من الناحية الخارجية.

-بيان التعاليم الدينية بالمصطلحات العقلية والفلسفية.

ومن أمثلة تأثر الإسلام بسائر أنواع الغبار الذي تراكم على أديان الأمم السابقة نجد تحريفاتهم ووضعهم لعقائد مستحدثة مثلما هو حاصل في المسيحية واليهودية، فالعقائد المسيحية؛ هي علم الكلام المسيحي الذي تحول إلى جزء من المسيحية إلى أن أصبح هو الأصل على مر الزمن، لكن هذا التأثر الإسلامي كان مع فارق جوهري يتمثل في كون أصول الدين الإسلامي محفوظة عن التحريف البشري دون الديانات الأخرى، فالإسلام بالرغم من الإضافات كلها يحافظ على النص السماوي المتمثل في القرآن الذي حفظ من التحريف، فلا بد من الرجوع إليه لتطهير الدين من الإضافات البشرية .

2- تحديد مفهوم تجديد الدين:

يدعو وحيد الدين خان لتجديد الدين وعلومه، في إطار التصور المحدد والواضح الذي رسمه اتجاه التجديد الذي يتبنى مفاهيم إحياء الدين وبعثه وإعادته إلى ما كان عليه في عهد السلف الأول، وذلك يتم عن طريق حفظ نصوص الدين الأصلية صحيحة نقية حسب الضوابط والمعايير التي وضعت لذلك وتمييز ما هو من الدين وما يلتبس به وتنقية الدين من الانحرافات والبدع، سواء كانت هذه الانحرافات داخلية في المجتمع المسلم أو كانت بتأثيرات خارجية (بسطامي، 2015، صفحة 28). وبتبني وحيد الدين خان لهذه الرؤية التجديدية يضع تعريفا لتجديد الدين بأنه" لا يعني اختراع إضافة لدين الله وإنما يعني تطهير الدين الإلهي من الغبار الذي يتراكم عليه وتقديمه في صورته الأصلية النقية الناصعة. إن الغبار الذي يتراكم على الدين الإلهي ظل من نوع واحد على مر العصور وهو الإضافة البشرية إلى المتن السماوي" (خان ، تجديد علوم الدين، 2015، صفحة 5).

يعتبر مفهوم التجديد الديني الذي بنى عليه وحيد الدين خان رؤيته من أهم اتجاهات التجديد المعاصرة التي تعطي التجديد بعدا إصلاحيا وذلك فيما اندرس من حقائق الدين الأصلية، أي "إعادة ترميم الشيء البالي، وليس خلق شيء لم يكن موجودا. وبهذا المعنى، فإن التجديد في مجال الفكر أو في مجال الأشياء على السواء هو أن تعيد الفكرة أو الشيء الذي بلى أو قَدُم أو تراكمت عليه من السمات والمظاهر ما طمس جوهره، أي تعيده إلى حالته الأولى يوم كان أول مرة، فتجدّد الشيء أن تعيده جديدا(حميد، 2017، صفحة 293). فالتجديد حسب هذا الاتجاه ينصبّ على تدين الأمة وليس على دين الله

تعالى، فما كان من قبيل العبادات أو الأحكام التي نص عليها الكتاب أو السنة أو أجمعت عليها الأمة فالتجديد فيها يكون بالرجوع بالأمة إلى ذلك النص... أما التجديد الفكري في الإسلام ليس نسخا أو تأسيسا لفكر جديد، أو مجرد إحياء لقديم، بل هو عملية تفاعل حيوي داخل فكر قائم لإعادة اكتشافه وتطويره وفقا للفهم الزمني الذي يعي حاجات العصر، أي أنه لا ينطلق من فراغ بل له قواعده ومنهجيته ومرجعيته وثوابته، فالتجديد خطاب نهضوي يستهدف البنية الفكرية لتلبي جميع حاجات الإنسان المعاصر، وتتكون مرجعيته من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وأدوات فهم الأصول وآلياته، كالعقل والإجماع وغيرها والتراث الفكري والفقهي" (شبار، 2016، الصفحات 55-56).

2،3.دواعي تجديد علم الكلام عند وحيد الدين خان:

يعتبر علم الكلام من العلوم التي كانت محل مراجعة ونقد عند العلامة وحيد الدين خان، فقد أفضت تلك المراجعة القائمة على تحديد أسباب انحطاط علم الكلام وضبط مفهوم التجديد إلى ضرورة تجديد علم الكلام باعتباره علما من العلوم التي تراكم عليها الكثير من الغبار المعرفي بعد اختلاطه بالمنطق الأرسطي ومناقشته لمختلف القضايا والمسائل بلغة تجريدية عقلية أسقطت البعد الروحي للعقائد الإسلامية في مختلف طروحاتها، فقد اعتبر هذا العلم ثالث المنافذ التي أدخلت الفساد للدين الإسلامي وذلك بعد الفقه والتصوف.

ويعرف علم الكلام بغايته في فترة معينة، فهو أداة مساعدة للدعوة الإسلامية ويهدف إلى إبلاغ حقائق الدين بنفس اللغة والمصطلحات التي يأنس لها المدعو في عصره، فهو علم زماني مؤقت يشرح حقائق الإسلام الدائمة بمصطلحات وقتية رائجة في عصر المدعو، فأهمية علم الكلام تنتهي بنهاية العصر الذي وضع فيه (خان ، 2015، صفحة 42)

وبناء على تعريفه لعلم الكلام، يقسم وحيد الدين خان علم الكلام إلى علم كلام قديم انتهى عهد تأثيره وعلم كلام جديد يأمل بعثه، وهذا التصنيف كان وفقا لمراجعته المنهجية للفساد الحاصل في الفكر الإسلامي، والذي كان أحد منافذه علم الكلام خاصة بعد إدخال المعقولات اليونانية على مناهج تدريسه، وأصبحت مع مر الزمن جزءا لا يتجزأ من منهج الدراسة الدينية، فهذه الميزة التي أصبحت تميز علم الكلام جعلته يكتسب صورة تجريدية صالحة لزمان معين، وليس لزمان أبطلت فيه المشاهدة العلمية والتجربة الحديثة هذه القياسات، فقد كشفت المناهج العلمية القائمة على التجربة قصور علم الكلام لكونه قائما على الأقيسة العقلية المبطلة، فقصوره لا يتعلق بذاته و بكونه صفة علم ديني، وإنما يتعلق ببعض مبانيه التي لازمها الركود والتوقف عن التطور. فاللغة لم تعد تناسب عقلية إنسان العصر، إضافة إلى الأسس والمناهج التي يعتمد عليها في عصر تجاوز النمط التجريدي في تأسيسه للمعرفة وبنائها.

وينبغي الإشارة إلى أن النصوص الإسلامية لم تتأثر بالخطأ الذي طال الفنون العلمية من فقه وتصوف وعلم كلام، والتي أصبحت كنظام تعليمي يتناقل عبر الأجيال يتم عن طريقه تدريس الدين والدفاع عنه، بل يبقى الضرر منحصرا في هذه الأنظمة التعليمية ومناهجها وطريقة تناولها لتحديات العصر الحديث. ومن هذا المنطلق وجب النظر في إمكانية تجديد علم الكلام باعتباره فنا فقد قيمته على مر الزمان. وليستعيد قيمته، وجب النظر فيه من حيث كونه نظاما تعليميا قائما على لغة مبهمة ومناهج وأقيسة ثبت إبطالها "فينبغي أن تختفي هذه المعقولات القديمة من المكتبة الإسلامية العلمية فتصبح جزءا من الماضي لا أكثر، فالشيء الذي يظهر نتيجة ظروف وقتية يزول كذلك بانتهاء تلك الظروف، ولكننا لم نخلص من تلك المعقولات القديمة والسبب في هذا يعود إلى أن هذه المعقولات قد دخلت إلى مكتبتنا الفنية وأصبحت جزءا منها، وكان زمن دخول هذه العلوم الأجنبية إلى المجتمع الإسلامي هو زمن تدوين العلوم الإسلامية فتأثر الناس بسحر المنطق القديم وظنوا أنه أفضل أسلوب لتدوين العلوم الإسلامية" (خان ، تجديد علوم الدين، 2015، صفحة 44).

فتجديد علم الكلام يعنى تنقيته من الإضافات والأغلاط التي جعلته بعيدا عن المفاهيم البسيطة للقرآن والسنة، فعلم الكلام القديم ذو صبغة إسلامية ظاهرية قائم على نظام مشوه كانت الميزة والغاية القرآنية فيه غائبة، وهي ميزة الوضوح والبساطة في اللغة، وغاية التأثير المباشر في داخل ووجدان الإنسان وفي خارجه عن طريق ضبط سلوكياته. فعلم الكلام بصورته التي فقدت قيمته فاقد للتأثير الوجداني في الفرد، الذي انفصل عن مجتمعه وحياته الواقعية، ويقول مالك بن نبي بخصوص غياب هذا التأثير "وعلم الكلام لا يتصل في الواقع بمشكلة النفس إلا في ميدان العقيدة أو المبدأ، والمسلم –حتى مسلم مابعد الموحدين–، لم يتخل مطلقا عن عقيدته، فلقد ظل مؤمنا وبعبارة أدق ظل مؤمنا متدينا، ولكن عقيدته تجردت من فاعليتها، لأنها فقدت إشعاعها الاجتماعي فأصبحت جذبية فردية، وصار الإيمان إيمان فرد متحلل من صِلاته بوسطه الاجتماعي، وعليه فليست المشكلة أن نعلّم المسلم عقيدة هو يملكها، وإنما المهم أن نرد لهذه العقيدة فاعليتها وقوتها الإيجابية وتأثيرها الاجتماعي، وفي كلمة واحدة: إن مشكلتنا ليست في أن نبرهن للمسلم على وجود الله بقدر ما هي في أن نشعره بوجوده ونملأ به نفسه بعَدِّه مصدرا للطاقة" (بن نبي، 2017، صفحة 545). فعلم الكلام بصورته التي وصلت إلينا ينافي الفكرة الأصيلة وفكرة السلف الأول، وهو كأحد العلوم الإسلامية ساهم في إحلال مرحلة الجمود والانحطاط، وقد قاد المسار المعرفي العقدي للأمة إلى انفصاله عن واقعها، وتجريده من مختلف أبعاده العملية التي تساهم في تقويم حياة المسلم وتوجيهه وفقا للمقاصد الكلية لهذا الدين، " فالمدارس الدينية بمنتهى الإخلاص وحسن النية مشغولة في تربية وتخريج أناس كانوا مفيدين للعمل قبل خمسة قرون من الزمن، إن من الواضح أن أمثال

هؤلاء لا يستطيعون إظهار الإسلام على المستوى الفكري في هذا العالم المتغير ، فلا يمكنهم نظرا لعقليتهم ومزاجهم إلا أن يمثلوا الإسلام تمثيلا هابطا فيؤكدون أن الإسلام كان أمرا صالحا لعصر ما قبل العلم وإنه لا يصلح لإنسان العصر الحديث" (خان ، 2015، صفحة 43)

إن نقد وحيد الدين خان لعلم الكلام بصورته المرتبطة بالمعقولات اليونانية القديمة، يهدف إلى الحفاظ على منهج السلف الأول في تدبر القرآن والسنة، ومسائلهما العقدية والعملية والاعتداد بها في الواقع، كما يسعى إلى إخراج الدين من التعقيد الفني الذي عرفت به أساليب اليهود والنصارى الذين عقدوا دين موسى وعيسى –عليهما السلام–، وهذا النقد يأتي تدبرا وفهما لتحذير النبي –صلى الله عليه وسلم– من تقليد الأمم السابقة في انحرافاتهم. و يمكن أن ينطبق هذا الحديث أيضا على مناهج البحث في الدين ومسائله، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: « لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ " ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اليَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟ قَالَ: " فَمَنْ» (البخاري كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»، رقم:7320) (العسقلاني، 2013، صفحة 300).

فتحرير علوم الدين من هاته المعقولات يمكّن المسلم المعاصر من " فهم كتاب الله وسنة نبيه لأن هذين المصدرين الأساسين لم يدونا على أساس مصطلحات المنطق القديم، أما كتب علم العقائد وأصول الفقه فلا يمكن فهمها إلا إذا كان القارئ على دراية جيدة بالمصطلحات المنطقية الفنية القديمة"(خان ، 2015، صفحة 45). فإسراف المتكلمين في توظيف المنطق الأرسطي في صياغة علم الكلام نجم عنه تشبع التفكير الكلامي بمنهج هذا المنطق المفضي لانحراف وجهة هذا العلم إلى العوالم الذهنية المجردة البعيدة عن الواقع وتداعياته ومشكلاته، فتغلبت بالتدريج النزعة التجريدية على المنحى الواقعي والتجريبي في التفكير الكلامي، فالتجريد كان منشأ لتغليب النظر على العمل، وقد تجاوز أثر هذه العقلية التجريدية إلى العلوم الإسلامية بشكل عام، فلا يكاد الفكر الإسلامي يتخطى عوالم الذهن بعيدا عن الواقع وعن مواكبته للتجربة البشرية وما تزخر به من رؤى وآفاق (الرفاعي، 2021، صفحة 126).

3.3ـ الكلام القرآني من التجريد الفلسفي إلى تدوين المعقولات القرآنية:

دعا العالم الهندي وحيد الدين خان مؤسس المركز الإسلامي بنيودلهي، في محاضرة له سنة 1976م، إلى ما أطلق عليه الكلام الجديد، وقد أراد به معنى لا يتفق مع أي مفهوم آخر للكلام تعارفت عليه أي طائفة من علماء المسلمين. فعلم الكلام عنده لا يرتكز على الفلسفة البتة، ولكن على نتائج العلم الحديث وعلم النفس والآثار، ويعتبر أن المتكلمين القدامى قد أخطأوا فيما حولوه من شرح العقيدة الإسلامية الثابتة

بأدلة عقلية مستمدة من الفلسفة، أي من أنماط متغيرة من التفكير الإنساني، وسيقترف علم الكلام الجديد الخطأ نفسه إن هو تأسس على الفلسفة الحديثة، لأنه بذلك يعتمد مرة أخرى على مجرد رؤى إنسانية عقلية تكون عرضة لطمس آثارها في قابل الأيام (شميتكه، 2018، صفحة 1235).

إن الكلام الجديد في تصور المفكر وحيد الدين خان هو العودة إلى تدوين المعقولات القرآنية، وعلى هذا الأساس يسميه "علم الكلام القرآني"، فحقيقة علم الكلام تتمثل في كونه محاولة لفهم وحدة العلم الموحى والعلم الكوني وفهم الكون المجهول بالكون المعروف، فهو علم لم يكن أكثر من تدوين معقولات القرآن، في حين أن الخطأ الذي وقع فيه متكلمو العصر العباسي غيّر مسار علم الكلام من كونه تدوينا لمعقولات القرآن إلى تطبيق المعقولات الإسلامية على المعقولات الفلسفية البشرية. فمن ثم كان هذا الخطأ سببا لتقسيم علم الكلام إلى قديم وجديد على أساس المعقولات البشرية القياسية التي تتغير بتغير الزمن، فدعوة المفكر لعلم الكلام القرآني كانت قائمة على تمييزه بين أسلوب الاستدلال القرآني الذي يقوم على القوانين الأرضية والسماوية الثابتة التي لا تتغير. وبالتالي سينتج عن تدوين معقولاته علم كلام قرآني ثابت لا يتغير، في حين أن القياس العقلي البشري متغير وغير ثابت مما يجعل علم الكلام القائم على هذا النوع من الاستدلال عرضة للقدم والجدة.

فعلم الكلام الذي يطرحه المفكر يقوم على استجلاء حقائق الدين بالأدلة التي تناسب الذهن الجديد والعقلية المعاصرة، وذلك باتباع أساليب الاستدلال التي تتوافق مع العقل العلمي الجديد الذي ينصب اهتمامه على الحقائق العلمية، فيتمكن من تقديم علم الكلام على أساس التجربة والمشاهدة لا على أساس التخمينات والقياسات المنطقية، فالعقل العلمي الجديد يقوم على دراسة الحقائق الطبيعية ويتماشى مع نتائجها في واقعه (خان، 1984، صفحة 102). وبالتالي يجب صياغة أسلوب استدلالي قائم على أسس قرآنية على خلاف القياس القديم القائم على المفروضات والمسلمات، فلا ينبغي الاكتفاء بالمشاهدة والتجربة البشرية فقط، بل يجب أن تطابق النظرية العلمية النظرية القرآنية التي تقول أن الإنسان لا يتمتع إلا بالعلم القليل، فتوافق النظريتين القرآنية والعلمية اكتشاف ينبغي تدوينه كأول خطوة لوضع علم الكلام الجديد (خان ، 2015، صفحة 50).

وعلى هذا الأساس، يقوم تجديد علم الكلام عند وحيد الدين خان على ركيزتين أساسيتين هما:

أولا: التجديد الذي يعنيه ليس تجديدا في المسائل والقضايا، بل في المنهج والأسلوب، ذلك أن المسائل والقضايا العقدية مصدرها الوحي وليس العقل البشري الذي تقتصر مهمته في فهمها واستيعابها ، وأما المنهج والأسلوب فهما يتغيران ويتطوران بتغير الزمان والمكان ومستويات إدراك الناس.

ثانيا: العقل الجديد يعني العقلية العلمية التي تهتم بالحقائق وتتمثل في تقديم علم الكلام على أساس التجربة والمشاهدة، لا على أساس التخمينات او الأقيسة المنطقية (نعمان، دت، صفحة 74).

وحسب وحيد الدين خان، فعلم الكلام القرآني هو العلم الضروري والممكن في هذا العصر، إذ يمكن أن يحل نهائيا إشكالية الآراء الكلامية التي تذهب رؤاها بمرور الزمن، وبما أنه أصبح من اليسير معرفة تفاصيل النظام الكوني بفضل التطور العلمي، وكما بات واضحا أن نتائج العلوم تثبت حقيقة ما جاء في القرآن، فلا واجب من تسجيل الآيات القرآنية المتعلقة بهذا الأمر واستكمال ماجاء فيها بمكتشفات العلوم الحديثة التي تحددها وتؤكدها، وقد قدم نموذجا تطبيقيا لهذا العلم في كتابه "الإسلام يتحدى" وذاع وانتشر حيث بحثت طائفة كبيرة هذه الموضوعات الحديثة التي تعد جديرة بالدراسة الجادة في الكلام المعاصر، وقد اعتبر ما قدمه وحيد الدين خان لا يعدو أن يكون نمطا معدّلا مما يسمى التفسير العلمي وتبنيه التقنية الدفاعية (شميتكه، 2018، صفحة 1236).

وتجدر الإشارة إلى أن مصطلح "الكلام القرآني" وما يحمله من مفاهيم لم يلق رواجا واستعمالا في أوساط دارسي التجديد الكلامي، فهذا الاصطلاح لازم معنى الأخذ بالتفسير العلمي والاستدلال التجريبي على القضايا العقدية، ولعل هذا التلازم لا يخدم الرؤية التجديدية الشاملة التي يسعى علم الكلام الجديد لتحقيقها في تناول القضايا والمسائل العقدية ومختلف القضايا التي يتقاطع معها أو يواجهها، ولا يستجيب لضرورة تجديد المنهج الذي يتطلب تكاملا منهجيا يضمن قوة المواجهة والإقناع، ذلك أن "الكلام الجديد بمواجهته للإشكالات المستحدثة التي يطرحها الخصم طرحا يعتمد فيه على أقوى وسائل الاعتراض والاستدلال يصبح عاملا حاسما في تحديث أدوات المقاربة والتنظير ورفع مستواها الإجرائي وقوتها الاقناعية لدى المفكر المسلم" (طه، 2000، صفحة 217). فالنظرة التجزيئية التي تهتم بجانب على حساب جانب آخر تشوه عملية التجديد ولا تؤدي وظيفتها، وعليه يمكن اعتبار ما يدعو إليه وحيد الدين خان إحدى المجالات التي يهتم بها علم الكلام الجديد، وهو مواجهة جملة من التحديات المعاصرة التي يدعهما العلم التجريبي، كالإلحاد وإنكار الدين وفرضية تعارض العلم والدين حيث تقتضي هذه المواجهة الدفاعية والتفسيرية منهجا ينطلق من الاستدلال بمعقولات وطبيعيات القرآن الكريم.

3.4ـ مبادئ تدوين علم الكلام الجديد:

يقوم علم الكلام القرآني الذي دعا إليه المفكر وحيد الدين خان على أربعة مبادئ، فمن خلالها يتم الاستدلال على مسائل العقيدة بما يتناسب مع العقلية العلمية للإنسان المعاصر.

أولا: محدودية العلم الإنساني.

إن العلم البشري محدود في عالم الشهادة، فبالرغم من إثارة عقل الإنسان للكثير من الأسئلة إلا أنه لا يستطيع الوصول إلى أجوبة نهائية، وفي بعض الحالات لا يدرك حتى الأجوبة الأولية، فهناك أسئلة توجد أجوبتها الحقيقية خارج حدود إدراك الإنسان فلا يستطيع الإنسان أن يفهمها، فهو شبيه بجنين داخل رحم أمه لا يستطيع أن يفهم الدنيا خارج أمه. وهذه الحقيقية المتعلقة بمحدودية الإدراك البشري متضمنة بشكل صريح في القرآن قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ **(الإسراء: 85).** فحياة الإنسان في عالم محدود لا يتجاوز في تفكيره حد الزمان والمكان، فليس بالإمكان الإحاطة بجميع الحقائق الغيبية المتعلقة أيضا بالآخرة التي تتعالى عن حدود الزمان والمكان، فما وصل للإنسان عن طريق الوحي عن الآخرة كان علما بالإجمال وينبغي للإنسان أن يقتصر على هذا العلم الإجمالي، فهذا الاقتصار من شأنه أن يدفع فكر وفساد العقل المؤدي لفساد الإيمان والعقيدة.

وقد بين الله تعالى حقيقة محدودية العلم البشري من خلال ما جاء في القرآن من تقسيم للآيات إلى محكمات ومتشابهات قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ **(آل عمران:07)**، فالآيات المحكمات تتصل بالدنيا المعلومة يمكن فهم مدلولها، والآيات المتشابهات تختص بأمور الغيب.

فهذا التقسيم للعلم محكم ومتشابه يتلاءم مع الطبيعة البشرية وقد أثبت العلم الحديث أن علم الإنسان محدود، فالعلم الكلي فوق قدرة الإنسان (خان، 1984، الصفحات 106-108).

ثانيا: الاستدلال على ثبوتية العقائد بالأدلة الطبيعية:

يقوم علم الكلام القرآني على إثبات العقائد وما تعلق بها من حقائق دينية بالطرق الطبيعية، ومن أمثلة الاستدلال الطبيعي على الحقائق الدينية:

1-إثبات وجود الله:

أقام القرآن الكريم دليل المشاهدة في الكون للدعوة للإيمان بالله تعالى، في حين اتبع المتكلمون القدامى الأدلة القياسية الفلسفية، فدليل المشاهدة يثبت أن الكون الواسع الذي يمكن لحاسة النظر أن تدركه هو في حدّ ذاته دليل على خالق الكون قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ

وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ **(الأنبياء :30)**، فهذه الآية توافق ما يعرف في العصر الحديث بنظرية (الانفجار العظيم) **bib bang**،فقد أثبت البحوث العلمية المتتالية للعلماء أن هذه النظرية حقيقة ثابتة، وهي تفيد بأن هذا العالم ليس أزليا وقد بدأ في وقت محدد غير معروف، إضافة إلى أن هذا العالم في تزايد مستمر، إن هذه النظرية دليل على وجود الله تعالى بالقوانين الطبيعية، بدلا من أقيسة العلة والمعلول والفعل ورد الفعل (خان، 1984، الصفحات 108ـ109).

2-الاستدلال على اليوم الآخر:

يخبر القرآن الكريم بثبوتية اليوم الآخر كأحد أهم أركان العقيدة الإسلامية التي ينبغي للمسلم أن يدين بها، وحتى إن كان غيبا فهذا لا ينفي وجوده، ولإثبات هذا اليوم اتبع المتكلمون القدامى الأدلة المنطقية القياسية، في حين استدل القرآن بالعلم التجريبي قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ **(الذاريات: 49)**. فالآية تثبت أن لكل شيء زوجه الذي يستكمل به نفسه، وقد وافق العلم التجريبي هذه النظرية القرآنية حيث أخبرنا أن سائر الذرات الكائنة في الخليقة توجد بأشكال أزواج، فهناك جسيمات مضادة للجسيمة، وذرة مضادة لذرة، ومتر مضاد لمتر، وعالم مضاد للعالم، فلابد إذن أن تدخل الدنيا في هذا القانون الإلهي وبذلك للدنيا زوج –وزوج هذه الدنيا هي الآخرة.(خان، 1984، صفحة 111).

ثالثا: الحقائق الكونية ميزان مثبت في القرآن الكريم

يدعو القرآن الإنسان لعبادة ربه بتسليم نفسه لخالقه ذليلا وخاشعا، وقد بين له من خلال الآيات معايير النموذج الذي ينبغي أن يختاره الإنسان لنظامه حتى يسير الحياة الجديرة به ليبلغ من خلالها تحقيق غاية العبادة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ **(الذاريات: 56)**.

وقد قدم في تأييد هذه المطالبة أدلة طبيعية نذكر منها مثال النحل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿68﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ **(النحل: 68-69)**، من خلال هذه الآية يمكن إدراك أن نظام النحل نظام اجتماعي شامل وكامل ومن خلاله يمكن مشاهدة سائر الأجزاء التي تكون النظام الإنساني للاجتماع وللمدينة، فما ينبغي للإنسان تعلمه من هذه الآية هو تنظيم مجتمعه الإنساني في إطار من الإيجابيات التي تسمح له ببناء مجتمع أفضل تسوده قيم الجمال والتراحم والتعاون والاشتراك في الهدف والغاية نفسهما من حماية الإنسان وتوفير سبل عيشه والسعي جماعيا

لتحقيق العبادة في أبعاد مختلفة، فبأمر من الله يقدم النحل النموذج الذي ينبغي للإنسان أن يختاره لنظامه حتى يسير سيرته الجديرة به (خان، 1984، الصفحات 114-115).

وعليه إن جزء الأحكام الإلهية في تنظيم حياة الإنسان يتمثل في الكون من خلال نماذج متعددة مثل التضامن والتعاضد كما في أعمال النحل، ومثل الإفاضة على الناس دون تمييز كما تفعل أشعة الشمس، ومثل سفر الحياة دون الاصطدام مع الكواكب الأخرى في مداراتها. إن هذا الأسلوب الطبيعي للدعوة إلى التوحيد يمكن للعقل الإنساني إدراكه بالتفكر والتأمل في الآفاق، إذ يقوم على الاستدلال الكوني الذي هو إرهاص لازدهار علم الإنسان وعمله (خان، 1984، صفحة 116).

ومن هنا يدعو وحيد الدين خان إلى الاعتبار والأخذ بالأخلاقيات الكونية التي يعتبرها نموذجا لأخلاق الإنسان وسلوكه في تنظيم العلاقات الاجتماعية، فإن كان العلم التجريبي يمكننا من إدراك تنظيم الكون ومعرفة الحقائق العلمية، فينبغي للعقل أن يسخر هذه المعرفة التجريبية في إحياء الجانب الروحي والأخلاقي لا التوقف عند الحقيقة المجردة لهذا العلم، وهذا ما يسعى القرآن إلى تحقيقه، أي إثارة وجدان المسلم من خلال آيات الله في الكون.

رابعا: اعتماد الأسلوب الواضح للكلام

من مآخذ علم الكلام القديم التعقيد في الأسلوب واللغة الكلامية التي يبين من خلالهما المتكلم الحقائق الدينية، فاعتماد الكلام الصناعي المعقد يجعل الطبيعة الإنسانية تنفر من اللغة المعقدة و ما تحمله من معارف دينية مهما كانت قيمتها، واستجابة لحاجة العقلية المعاصرة وجب الانتقال من الأسلوب الأدبي الصناعي المعقد إلى الأسلوب العلمي الجديد الذي يخلو من الزخرفة ويقدم الكلام بصورة واقعية وحقيقية. ويعتبر القرآن الكريم أول كتاب قام على الموضوعية والحقيقة في التاريخ، وهو الكتاب الذي أسس للأسلوب الطبيعي وهجر الأسلوب الصناعي، فيمكن القول أن الأسلوب العلمي هو أسلوب قرآني بحت، إلا أنه اختفى من الساحة الفكرية الإسلامية بعد انتشار المنطق والفلسفة من بعد نزول القرآن والسنة، فقد اعتقد الناس أن من براعة الإنسان وقدرته على الكلام أن يقدمه في النثر المنظوم أو الشعر المنثور، وعلى هذا الأساس يرى المفكر وحيد الدين خان أن العودة لأسلوب القرآن الذي فيه سذاجة حسب الحقيقة وسير الطبيعة هو أخذ بالأسلوب العلمي في التحليل وعرض الحقائق (خان، 1984، الصفحات 116-117).

ويدخل هذا المبدأ بشكل عام في إطار ما يدعو إليه علم الكلام الجديد من تجديد على مستوى مبنى اللغة، ولكن وحيد الدين خان جعل هذا التجديد بمعنى العودة لأسلوب القرآن، أي أنه يدور في فلك القرآن

الكريم سواء من ناحية طرق الاستدلال أو اللغة المستعملة في ذلك، وهذا قد يختلف مع كثير من دعوات تجديد اللغة التي تدعو لثورة شاملة على اللغة الكلامية القديمة واستبدالها بلغة توافق استيعاب العقل الجديد،وهذه الدعوة إذا تم تبنيها على إطلاقها دون مراعاة لخصوصية لغة العلوم الشرعية الإسلامية وكيفية تكييفها مع ضرورات الواقع، قد لا تمنع من تدوين علم كلام جديد بلغة فلسفية عصرية من وحي المنقول الغربي و من الوقوع في التقليد الفلسفي كما وقع فيه المتكلمون القدامى، لتصبح بذلك الفلسفات الغربية قدرا محتوما على محاولات المعرفة الدينية الإسلامية كلّها، سواء من حيث المضامين أو طرق الاستدلال أو اللغة .

4ـ خصائص المنهج في مواجهة التحديات المعاصرة:

إن دعوة وحيد الدين خان في حقيقتها هي دعوة لتجديد المنهج الكلامي لإثبات المواضيع العقدية المقررة في القرآن والدفاع عنها، وذلك بتجاوز صور الاستدلال القديمة وإنشاء منهج جديد يناسب العقل الجديد وتطورات العصر يقوم على أسس المنهج القرآني، وذلك من شأنه أن يُفعّل عملية تقويم التراث الكلامي، الذي انحرف منذ بداية تدوينه عن المنهج والغاية المتضمنين في القرآن، فقد كان علم الكلام القديم والقرآن شيئين مختلفين، فالقرآن يحتوي على الآيات المحكمات وعلم الكلام مبني على قياسات الفلاسفة، فتقويم الخبرة الكلامية وتقييمها يسمح بتنقيتها من الأخطاء والاستفادة مما تحتويه من مناهج وخصائص في تطوير وبناء مناهج علمية جديدة تُمكّن من مواجهة التحديات المعاصرة المتمثلة في معارضة الدين ومحاربته وإخراج الإنسان من التوحيد الإلهي إلى الإلحاد المؤسّس على أسس علمية في العصر الحديث الذي اتخذ اسم "عصر الإلحاد لإنكاره الدين، وهذا الإلحاد ليس محض ادعاء، بل يرى أصحاب نظريته أنها طريقة بحث ودراسة اهتدى إليها الإنسان بعد التطور الحديث في ميادين العلم المختلفة، وهذه الدراسة التطورية لا تهدف إلى إثبات نظرية ما أو إنكارها، وإنما هي منهج خالص في البحث أثبت أصحابه أن الدين باطل" (خان، 1974، صفحة 5).

فإذا كان الدين يحارب بالعلم في النظرية الإلحادية، فإن محاولة وحيد الدين خان التجديدية تهدف إلى مواجهة الإلحاد بشبهاته المعاصرة، وذلك بالدفاع عن الحقائق الدينية والتوحيدية المتضمنة في القرآن بالاعتماد على منهج استدلالي طبيعي رافق عرض القرآن لتلك القضايا، وعليه يمكن اعتبار أن جهود المفكر تسعى لغاية "إثبات حقيقة الإسلام في ضوء المقاييس الاستدلالية للعلم الحديث"(خان، 1987، صفحة 5).

وتأتي هذه الغاية استجابة لسببين رئيسيين:

1- الرد على منكري الدين بتقديم إجابة علمية تدحض تصورهم القائم على العلم التجريبي، والذي يقضي بالقول أنّ الإرادة والفعل الإلهيين لا وجود لهما في تسيير حياة الإنسان والكون، وبالتالي إنكار وجود الله.

2- تثبيت عقيدة المسلمين، وذلك من خلال تقديم أجوبة علمية لكثير من التساؤلات حتى لا يعتريهم النقص في صحة عقيدتهم جراء الشبهات المبنية على العقل العلمي الحديث (خان، 1987، الصفحات 5ـ6).

وبناء على هذين السببين، سلك وحيد الدين مسلكين رئيسيين في مناقشة مختلف المواضيع الدينية أو التي تتقاطع مع الدين في مجالات عدة:

1، 4ـ **أولا: مسلك الدفاع والتصدي.**

إن الجهد الذي قدمه وحيد الدين فيما يتعلق بالعقيدة الإسلامية والقضايا الدينية جهد دفاعي بأساليب حديثة تختلف عن الأساليب التي نشأ عليها علم الكلام التجريدي، فقد سلك طرقا استدلالية تتناسب مع عقلية منكري الدين الجدد الذين يقيمون الأدلة على أساس التجربة والمشاهدة العلمية، وهذا المسلك الدفاعي الجديد يقوم على خطوتين:

أ- عرض القضايا وأدلتها.

يتبع وحيد الدين خان منهج عرض القضايا الدينية كما جاءت بأدلتها عند المعارضين ليناقشها بالإبطال، وهي الخطوة المنهجية التي انطلق منها المفكر وحيد الدين لمراجعة الفكر الحديث في تعامله مع القضايا الدينية، وذلك بتحديد أهم مواقف هذا الفكر ومقولاته التي تتلخص في نفي الدين من تلقاء نفسه، فالأفكار المتطورة الحديثة تؤكد أن الحقيقة ليست إلا ما يمكن فحصه وتجربته علميا، وقد قام الدين على حقيقة لا سبيل إلى مشاهدتها وفحصها علميا. ومن ثم يعتبر التفسير اللاهوتي للأحداث والوقائع خارج دائرة الإثبات بالوسائل العلمية باطلا لا حقيقة له، وبالتالي نتوصل إلى المقولة النهائية (الدين تفسير زائف لوقائع حقيقية) (خان، 1974، صفحة 11).

ويبين وحيد الدين خان أن قضية معارضي الدين في مجملها تقوم على أسس ثلاثة تمثلت في علم البيولوجيا وعلم النفس وعلم التاريخ، فما من معارض منكر للدين إلا وينطلق من هذه الأسس للاستدلال على بطلان الدين وعدميته:

1- البيولوجيا (دليل الطبيعة)

يفسر معارضو الدين الحركة التي تجري في الكون طبقا لقانون الطبيعة، فلا حاجة لافتراض إله يسير هذه الحوادث، فالمشاهدات العلمية الجديدة أبطلت الكثير من تفسيرات الحوادث، فقد كان يؤمن الإنسان بالفكرة القديمة القائلة أنّ الله أخرج الكتكوت من البيضة، أثبتت التجارب أن الكتكوت يخرج بعدما يكسرها بمنقاره الصغير الذي صوره المنظار، لكن في الحقيقة هذه المشاهدة الجديدة تدل على حلقة جديدة للحادث، فالوضع الأخير هو مشاهدة للواقع على نطاق أوسع وليس تفسيرا له. وفي المثال المذكور بأنه تم التوصل إلى مشاهدة المنقار الذي يكسر البيضة ليس سببا حقيقيا، وإنما السبب الحقيقي سوف يتجلى بعد البحث عن العلة التي جاءت بهذا القرن للعلة التي كانت على معرفة كاملة بأن الكتكوت سوف يحتاج إلى هذا القرن ليخرج من البيضة (خان، 1974، صفحة 20).

وفي رد وحيد الدين خان على محاولة إنكار الدين دوره في الإجابة عن أهم الأسئلة التي يطرحها الإنسان واستبداله بالعلم الحديث وكشوفاته، يقول إن العلم الحديث يمكن أن يشرح العلل والأسباب وراء هذا الكون، لكن الدين جواب لسؤال آخر لا يتعلق بالكشوفات الحديثة العلمية، فالإنسانية تبقى في حاجة للدين ولو تضاعف عدد الكشوفات أضعافا، فهذه الكشوفات حلقات ثمينة من السلسلة، ولكن ما محلّ الدين؟ لا بد أن يشرح الكون شرحا كليا وكاملا (خان، 1974، الصفحات 21-22).

2- علم النفس

يعتبر علم النفس من أهم العلوم الإنسانية التي ابتكرها العقل بصورته التنظيرية والتطبيقية في الغرب، وقد جعل هذا العلم من أجل التمكن من معرفة خصائص النفس البشرية وربطها بسلوكها الظاهري، ويتم ذلك من خلال عدة تخصصات برزت داخل هذا العلم، إذ يعتني كل تخصص بخاصية من خصائص النفس البشرية، إلا أن المسار العام لهذا العلم أخذ ينحرف عن الوظيفة التي وضع من أجلها وهذا منذ أن أصبح وسيلة لفصل الإنسان عن الدين اعتمادا على نظريات هذا العلم الوضعي. ويقول وحيد الدين خان أن هذا العلم "يقدم دليلا على بطلان الدين مفاده أن الإله والآخرة قياس للشخصية الإنسانية وأمانيها على مستوى الكون"(خان، 1974، صفحة 23).

ولإبطال هذا الدليل ناقش وحيد الدين اللاشعور _وهو أهم مبحث في علم النفس_ بطريقة علمية تقابل التي عرض بها المعارضون قضيتهم. فاللاشعور من الوجهة العلمية فراغ في أصله، فلاشيء يولد فيه قبل مولد الإنسان، فهو ليس سوى مخزن للمعلومات والمشاهدات التي شاهدها الإنسان في حياته، ومن المستحيل أن يختزن حقائق لم يعلمها من قبل، وما يؤكد هذا التفسير أن الدين الذي جاء على لسان

الأنبياء يشتمل على حقائق أبدية لم تخطر على بال أحد من الناس في أي زمان، فلو كان اللاشعور هو مخزن المعلومات فمن أين يأتي هؤلاء الذين يتكلمون عن أشياء لا طريق لهم إلى العلم بها؟ فالدين الذي جاء به الأنبياء على اتصال بالعلوم المعاصرة وهو يخلو من الأغلاط والأكاذيب التي كان مصدرها الشعور واللاشعور، فقد تم إبطال ادّعاءات الآخرين المتشكلة في تاريخ الإنسان، ولا يزال صدق النبوة قائما باقيا على الزمان ولم يستطع أحد أن يدل على باطل جاء به (خان، 1974، الصفحات 24-25).

3- علم التاريخ وعلم الاجتماع:

تعرف التاريخانية أنها واحدة من أعظم الثورات الفكرية التي شهدها الفكر الغربي، وهي كمذهب فكري لدراسة وتحليل الظواهر الاجتماعية والثقافية في إطار ما تحدده نظريات التاريخ تؤكد على أن كل ما يحدث في التاريخ يمكن تفسيره وفقا لأساليب التاريخ، وترفض الرجوع إلى التعالي أو "الفائقية"، أي عدم الخروج عن نطاق التاريخ، وبمعنى آخر استبعاد البعد الغيبي من التاريخ، فلا يمكن لقوة خارجية متعالية أن تتدخل في الحوادث التاريخية، وثمّة مبدأ تاريخاني أساسي وهو أن كل شيء في العالم الإنساني

(الدولة، والمجتمع، والأدب، والعلوم، والدين) هو جزء من التاريخ، بمعنى أن جميع النظم والقيم من صنع ووحي البشر وهي في حالة تغير،وهذه الفكرة موجهة ضد ميلنا الطبيعي إلى إضفاء الصبغة الأبدية على القيم والنظم، وقد سعت أجندة التاريخانية لجعل التاريخ علما بمثابة رد فعل ضد إرث قديم سحب صفة العلمية عن كثير من الميادين (بسيوني، 2019، صفحة 9).

حاولت التاريخانية كاتجاه فكري ثوري أن تنافس العلوم الطبيعية في قدرتها على انتزاع صفة العلمية وقدرتها على مناقشة وتناول المسائل التي تطرق إليها العلم الحديث مثل قضية التعارض بين العلم التجريبي والدين، وبناء عدمية الإله انطلاقا من نتائج العلوم الطبيعية. فاتخذ هذا الاتجاه التاريخي الحديث نظريات تؤكد على فكرة أن الدين والنصوص الدينية من اختراع البشر ومن ثم إنكر وجود الإله.

وقد تنبه وحيد الدين خان إلى هذا الاتجاه الفكري الحديث ودوره في تعميق الهوة بين العلمي والديني، وقد اعتبره من التحديات المعاصرة التي وجب مواجهتها بطريقة علمية تستند إلى فهمه واستيعابه للدعوى وعرضها ومناقشتها انطلاقا من نظريات علم التاريخ نفسه.

فيقول عارضا للدعوى إن الدين في تصور المنكرين هو خدعة تاريخية و مجرد اختراع إنساني وجد لأسباب تاريخية أحاطت بالإنسان، فحاجته للاستغاثة من الظواهر الطبيعية التي تهدد أمانه النفسي جعلته يوجد قوى فرضية لتنقذه من البلايا النازلة، فخلق الدين هو حالة تعبر عن عجز الإنسان عن مواجهة

القوى الخارجية، فالعقيدة الإنسانية انتهت إلى آخر نقطة غير مفيدة، وهي لا تستطيع قبول التطورات، فقد اخترع الإنسان قوة ما وراء الطبيعة لتحمل عبئ الدين، ثم جاء بالسحر، ثم بالعملية الروحية، ثم بالعقيدة الإلهية، حتى اخترع فكرة الإله الواحد، فهذه العقائد كانت في وقت ما جزءا مفيدا من حضارتنا، ولقد فقدت اليوم ضرورتها ومدى إفادتها للمجتمع الحاضر المتطور (خان، 1974، الصفحات 14-15).

وقد ناقش وحيد الدين الأساس التاريخي والاجتماعي الذي بنى عليه المعارضون إنكارهم للدين:

-إن الذين يستدلون بالتاريخ أو علم الاجتماع يتناولون أن الدين مشكلة موضوعية، فكل ما أطلق عليه اسم دين في أي مرحلة من التاريخ يعد عملا اجتماعيا لا كشفا لحقيقة، فكل الأديان لدى المنكرين من اختراع بشري وبقاؤها مرهون بحاجة المجتمع لها (خان، 1974، صفحة 28).

-إن الباحثين الاجتماعيين يعتمدون على خلق الأفكار الجديدة التي تنتقل من الإله إلى فكرة الدين بغير الإله، وذلك ناشئ عن الطريق المعوجة التي تتداخل فيها جميع النواحي العلمية التي تشكك في جداولهم الارتقائية، فعلماء الاجتماع توصلوا إلى أن نظرية الإله الواحد شكل ارتقائي لفكرة تعدد الآلهة التي أبطلت إمكانية التعايش في سلام بين مختلف الديانات، فخلق نظرية الدين الأعلى أدت لحروب ضارية بين شعوب الدنيا، ولكن في حقيقة الواقع يثبت التاريخ المعلوم أن أول رسول معلم كان سيدنا نوحا وكان يدعو للإله الواحد، كما أن مفهوم تعدد الآلهة ليس في درجة واحدة، وإنما معناه أن يشرك الإنسان مع الإله الأكبر آلهة أخرى، وفي وجود هذه الحقائق تتحول نظرية النشوء والارتقاء إلى ادعاء لا دليل عليه يقضي بقول أن الدين حاجة اجتماعية تشكلت عبر التاريخ (خان، 1974، صفحة 29).

في ضوء المناقشة العلمية لأسس معارضي الدين، يخلص المفكر إلى أن قضية معارضي الدين تنظر إلى حقائق ناقصة وجزئية لا يتصل بعضها بالموضوع مطلقا، واعتقادهم مبني على أن الدراسة العلمية الحديثة أبطلت الدين، لكن الواقع جملة وتفصيلا يبطل قضيتهم، فقد توصل وحيد الدين خان من خلال تجربته الشخصية إلى أن الدين صادق، فمراجعته لمسار العلماء بين له أن عقولهم المثالية بعد أن فقدت الأساس أصبحت تهذي بكلمات لا حقائق وراءها، فتخليهم عن الدين أوقعهم في الآراء المتناقضة وصياغة الأدلة الشبيهة بالسفسطة، قضاياهم الباطلة قائمة على الادعاء، أما القضايا الصحيحة تقوم على أسس علمية ثابتة، فحقيقية الدين تظهر من خلال الحياة الإنسانية في ضوء الدين، إذ تتوافق مع أفكار الإنسان السامية كما يتوافق الكون المادي مع القوانين الرياضية (خان، 1974، الصفحات 32-33).

على ضوء ما سبق عرضه من ردود وحيد الدين على علم البيولوجيا وعلم التاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع، وذلك فيما يخص فكرة إنكار الدين و حقائقه –خاصة ما تعلّق منها بالجانب العقدي– ، يمكن القول أن وحيد الدين خان اتبع منهج المراجعة النقدية للعلوم المنتجة في رحم الثقافة الغربية ولمنهاجها ولنظرياتها التي تؤسسها ومواضيعها التي تهتم بها، ولعل هذه إشارة إيجابية توحي بإحاطة هذا المفكر بعلوم عصره الحديث وتمكنه من استخراج مكامن التحديات فيها، والتي تشكل خطرا على مستقبل الإيمان والدين في نفوس المسلمين والبشرية جمعاء، فما قدمه وحيد الدين خان من أدلة تبطل ادعاءات هذه العلوم لا يخص عقلية المسلم فقط، بل يمكن لغير المسلم أن يستفيد من هذه المراجعة ويدرك مواطن الخطأ التي وقعت فيها هذه العلوم وتجنيها على ضرورة الدين ووجود الله.

فالموقف العلمي للمفكر اتجاه العلوم الإنسانية والتجريبية ومناهجها هو موقف موضوعي ينطلق من فكرة أحقية الفكرة الدينية وفكرة وجود الله وأنها فوق كل فلسفة ومعقول بشري، ويمكن محاكمة هذه العلوم إلى الحقائق المثبتة في القرآن، لا أن نجعل القرآن محتكما إليها. فقد حقق هذا المنهج النقدي مفهوم صلاحية القرآن لكل زمان ومكان وكونه فوق كل إنتاج العلم البشري، فقد اتبع وحيد الدين خان منهج المتكلمين القدامى في الانطلاق من الاعتقاد بيقينية الحقائق الدينية وسوق الأدلة العقلية على صحتها وجعلها حاكما على الأفكار البشرية، وهذا ما ينبغي أن يؤسس عليه علم الكلام الجديد إن اقتضت الضرورة والتحديات التعامل مع المنقول الغربي من علوم ومناهج ونظريات، فالنقل يقتضي النقد وتصفية ما يمكن الاستفادة منه، لا التسليم لكل منقول واتخاذه مرجعية حاكمة على طريقة فهم الدين والنصوص والأصيلة و الإنتاج المعرفي الإسلامي.

ب–الاستدلال العلمي العكسي

إن منهجية الاستدلال العلمي في علم الكلام الجديد تقوم على استخدام منهجية المعارضين بطريقة عكسية لإبطال حججهم، أي استعمال مقاييسهم وطرقهم وفق قاعدة" إذا كان المبدأ هو أن الحقيقة ليست إلا نتائج المشاهدة والتجربة العلمية، فلن تستقيم قضية معارضة الدين إلا إذا توصلوا بالمشاهدة والتجربة نفسها إلى أن الدين في حقيقته النهائية باطل "(خان، 1987، صفحة 9).

ويقوم هذا الاستدلال العلمي على أربعة مقاييس:

1–أن يكون الأمر المراد مشاهدته أو تجربته في متناول اليد مباشرة.

2–ألا تكون الدعوى قابلة كليا للمشاهدة، بل يمكن مشاهدة بعض أجزائها.

3-يعتبر الاستدلال مقياسا علميا سليما إذا شوهدت فيه بعض جوانب التجربة التي تؤكد وجود حقيقة ما(خان، 1987، صفحة 11).

4-الاستدلال بالقرينة الجائزة، فحتى إن لم ترتبط المشاهدات والتجارب بالقضية المطروحة بالمفهوم العلمي التكنيكي للبحث، وكان هناك توفر لقرينة جائزة لتأييد القضية المطروحة، وهذا في حالة انعدام نظرية أقوى تفسر تلك المشاهدات، فسيكون الاستدلال بالقرينة الجائزة أمرا مقبولا وسليما (خان، 1987، صفحة 13).

2، 4ـ **ثانيا**: **مسلك تجديد المعارف في ضوء القرءان والسنة**

بالإضافة إلى مسلك الدفاع عن القضايا الدينية، ومواجهة منكري الدين ومعارضيه بالطرق العلمية الحديثة، أو من خلال الأسلوب العلمي الاستدلالي في القرآن الكريم، يبرز مسلك آخر في فكر العلامة وحيد الدين خان ظهر في مختلف مؤلفاته وهو التجديد المعرفي في ضوء القرآن. فلم يقتصر فكره على الدفاع والتصدي، بل كانت له محاولات كثيرة في تجديد المفاهيم الدينية المشوهة ومناقشة قضايا أفرزتها التحديات المعاصرة، وذلك بعرضها على المقياس الإسلامي في معالجة القضايا والمتضمن في القرآن الكريم والسنة، فتجديده المعرفي يقوم على إعادة شرح القضايا وما تم تشويهه من مفاهيم إسلامية، وذلك من خلال العودة بها إلى الفهم الأول للنبي _صلى الله عليه وسلم_ والصحابة، بعيدا عن التعقيدات الفنية لبعض العلوم الإسلامية كالتصوف وعلم الكلام والفقه، فكانت اهتماماته التجديدية تدعو إلى إعادة النظر في المفاهيم و تجديد المناهج التي يسلكها الباحثون في عرض وتبيين القضايا أو الدفاع عنها في إطار الأسس القرآنية.

5. خاتمة

بعد هذا العرض الذي حاولنا من خلاله تسليط الضوء على واقع علم الكلام في الدراسات المعاصرة في ظل التحديات المتعددة الأبعاد من خلال الكشف عن مساهمات المفكر وحيد الدين خان في تجديد علم الكلام، نخلص إلى النتائج التالية:

1- يعتبر علم الكلام المعاصر أو الجديد غير واضح الحدود والمعالم، إذ يشهد تضاربا واختلافا عميقا في تصوراته، وذلك يرجع لتعدد مفهوم التجديد الديني وتناوله برؤى ومقاييس مختلفة منها ما يدعو للقطيعة الكلية مع التراث الكلامي القديم واستحداث منظومة كلامية جديدة على مستوى الموضوع والمنهج والمبادئ والغاية واللغة، أي إعادة هندسة هذا العلم هندسة تثور على الخبرة الكلامية القديمة بكل ما لها وعليها.

2- إن الاتجاه التجديدي الذي يدعو للثورة على الخبرة الكلامية يدخل في إطار التأثر بمفاهيم التحديث الغربية ومحاولة فتح الحدود بين علم الكلام الإسلامي والعلوم الغربية دون مراعاة لخصائص العلوم وعلاقتها بالثوابت الأولى وواقع الإنسان، فالتجديد بالقطيعة هو انتقال وتدرج في سلم التقليد، أي الخروج من تقليد علم الكلام الكلاسيكي إلى تقليد المنظومة الغربية في الثورة على العلوم وفتح الحدود بينها بغض النظر عن خصوصية المناهج والمواضيع الخاصة بكل علم.

3 - إن قصور علم الكلام في مواجهة التحديات المعاصرة وحل إشكالية الإنسان المسلم المعاصر- المتمثلة في الانفصام الروحي عن الدين وعن الواقع والتحديات التي تواجهه- بصورته القديمة حقيقة تم إدراكها، وتعتبر الجهود التجديدية والإصلاحية في تداركها حثيثة، لكن تناول إشكاليته في علم الكلام الجديد المتشكل في رحم التقليد الغربي لن يزيد المشكلة إلا تعقيدا من جهة، ومن جهة أخرى إذا سلمنا بمفهوم التجديد الديني القائم على العودة بالمفاهيم لأصولها الأولى في القرآن والسنة، فإن هذا القول لا يزال عاجزا اليوم عن تحديث المنظومة الكلامية بشكل عميق يفعل مقاصد العقيدة في حياة المسلم ، وإن كانت الجهود المبذولة في هذا الاتجاه بارزة إلا أنها تفتقد للتطبيق لغياب المنهج الواضح والعمل الجماعي والرؤية الموحدة.

4- محاولة تجديد علم الكلام في الوقت المعاصر أظهرت أن مشكلة التشظي والاختلاف المتجذر في صفوف المسلمين لاتزال مستمرة منذ قرون طويلة، فإن كان التشظي والتناحر يتغذى قديما في ظل المنظومة المعرفية الإسلامية، انتقل اليوم هذا التشظي إلى حلقة أوسع أخذ فيها مظهرا جديدا، فهو تشظي بين المسلمين بين ثلاثة أطراف، طرف يبني تطلعاته المعرفية وآماله التجديدية على موروثاته القديمة لعجزه عن مجاراة الواقع وتحدياته، وطرف ثاني يبني آفاق تجديده بمراعاة المقاصد والثوابت التي لا تغيير فيها، وطرف ثالث يقلب الموازين على الأول والثاني تماشيا مع ما تدعوا إليه مصلحة الإنسان في ظل العولمة المعرفية، وإن كان لكل طرف حجته وتبريره للتصميم على موقفه، فان النتيجة هي التشظي وغياب الرؤية الواحدة في صفوف المسلمين. فمستقبل علم الكلام في ظل هذه الصراعات يبقى مجهولا متعدد الرؤى وبذلك يبقى مصطلح الكلام الجديد ينتقل من معنى لآخر.

5- يبرز المفكر وحيد الدين خان كأحد المشاريع التجديدية التي دعت إلى الكلام الجديد بمفهوم الكلام القرآني، أي العودة إلى الكلاميات القرآنية في الموضوع والمنهج، فيرى وحيد الدين خان أن تجديد علم الكلام يتماشى وفق قاعدة صلاحية القرآن لكل زمان ومكان، فبنى مشروعه التجديدي وفق معايير منهجية قرآنية تضمن من وجهة نظره إحياء وجدان المسلم وتفعيل عقيدته في واقعه ليحقق التوازن بين الدنيا والآخرة.

6- انطلق وحيد الدين خان في رؤيته التجديدية لعلم الكلام من مقتضيات العصر الحديث الذي تميز بالثورة العلمية ومن ضرورة الدين في مواجهة هذه التحديات، فالتجديد في علم الكلام كان من خلال نقد الكلام القديم وتبيين قصوره في مواجهة التحديات التي يطرحها العلم الحديث.

7-يقوم علم الكلام الجديد في رؤية وحيد الدين خان على أربعة مبادئ رئيسية، الإقرار بمحدودية العلم الإنساني، والاستدلال على ثبوتية العقائد بالأدلة الطبيعية في القرآن، إضافة إلى اعتبار الحقائق الكونية المثبتة في القرآن الكريم ميزانا يحتكم الإنسان إليه في حياته، شرط أن تكون اللغة المستعملة في تدوين علم الكلام الجديد لغة بسيطة واضحة.

8-إن الجهد الذي بذله المفكر وحيد الدين خان نقل تناول علم الكلام للعقيدة الإسلامية من التجريد العقلي إلى التجريب العلمي، وذلك تم من خلال تجديد المنهج في معالجة القضايا العقدية والقضايا التي أفرزتها التحديات المعاصرة الداخلية كالانحطاط والتخلف والتراجع الحضاري والتحديات الخارجية كمحاربة الدين ومعارضته بالإلحاد المعاصر القائم على فرضية تعارض الدين والعلم.

8-أثبت المفكر أن القرآن الكريم في حقيقته لا يتعارض مع مخرجات العلم الحديث، بل إن العلم التجريبي أثبت صدقية القرآن والدين. فمساهمة وحيد الدين خان تلخصت في تجديد المنهج الكلامي بتطبيق المنهج الاستدلالي العلمي المثبت في القرآن الكريم للدفاع عن الدين ولمناقشة قضايا تخص راهن المسلمين.

9-يعتبر الجهد التجديدي لوحيد الدين خان خطوة مهمة في كسر الحاجز بين الدين والعلم كأحد أبرز التحديات المعاصرة، فيمكن الاستفادة من هذا الجهد على مستوى تجديد منهج علم الكلام في الاستدلال على حقائق الدين والدفاع عنها.

10- دعوته لتجديد علوم الدين من فقه وتصوف وعلم كلام هي دعوة تنضوي في جوهرها على خاصية التقريب بين العلوم ومناهجها وكسر فنياتها التي خلقت الحواجز بين الفهم والتطبيق وبين تكميل العلوم لبعضها البعض، فيمكن الاعتماد على الجهد كحلقة في المسار الطويل لتجديد العلوم الدينية في مسار يحقق التكامل المعرفي في المنهج والمقاصد، ومن أمثلة ذلك تحقيق التكامل بين منهج التصوف وعلم الكلام في تجديد علم الكلام، ونقله من التجريد إلى تفعيل الروحانيات وإحياء وجدان الإنسان في إطار المنهج القرآني الذي يخاطب الإنسان بأسلوب بسيط يشغل عقله ويحرك وجدانه ليمضي في حياته مرتبطا بالله وفاعلا في واقعه.

6. قائمة المراجع

1. ابن رشد، محمد الأندلسي المالكي ،(2001)،الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة،بيروت،مركز دراسات الوحدة العربية.
2. التميمي، حيدر قاسم،(2018) ،علم الكلام الإسلامي في درسات المستشرقين الألمان يوسف فان إس أنموذجا،بيروت،دار الروافد الثقافية.
3. الرفاعي، عبد الجبار،(2002) ،علم الكلام الجديد وفلسفة الدين.بيروت :دار الهادي.
4. الرفاعي،عبد الجبار،(2005) ،مقدمة في السؤال اللاهوتي.
5. الرفاعي،عبد الجبار،(2016) ،علم الكلام الجديد مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين،بغداد،مركز دراسات فلسفة الدين.
6. الرفاعي،عبد الجبار،(2021) ،مقدمة في علم الكلام الجديد،بغداد،دار التنوير للطباعة والنشر.
7. الطبطبائي،محمدحسين،(1416) ،نص الحوار مع المستشرق كوربان.مؤسسة ام القرى للتحقيق والنشر.
8. العسقلاني، أحمد بن حجر،(2013) ،فتح الباري بشرح صحيح البخاري،دمشق،دار الرسالة العالمية.
9. القلالي، عبد الكريم،(2020) ،مداخل التجديد الكلامي نحو رؤية تجديدية تكاملية،دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية، العدد10 .
10. الكيلاني، رعد ،(2017) ،الفكر الإسلامي النشاة والتطور والتحديات المعاصرة،بغداد،دار شمس الأندلس.
11. المستيري، محمد،(2019) ،تجديد علم الكلام في تأسيس عقلانية دينية معاصرة ،تونس،منشورات كارم الشريف.
12. المغربي، علي عبد الفتاح ،(1995) ،الفرق الكلامية الإسلامية.
13. النجار،عبدالمجيد ،(1997) ،الإيمان وأثره في الحياة،دار الغرب الإسلامي.
14. بدوي،إبراهيم،(2009) ،عل الكلام الجديد نشأته وتطوره، دار المحجة البيضاء.
15. بدوي،عبد الرحمن،(1997) ،مذاهب الإسلاميين،بيروت،دار العلم للملايين.
16. بسطامي،محمد السعيد ،(2015) ،مفهوم تجديد الدين،جدة،مركز التأصيل للدراسات والبحوث.
17. بسيوني،عمرو ،(2019) ،التاريخانية فريديريك بيزر،مركز نهوض للدراسات واالنشر . Récupéré sur https://nohoudh-center.com/sites/default/files/2020-04/26-altarykhanyt.pdf
18. بن نبي،مالك ،(2017) ،الأعمال الكاملة،كتاب وجهة العالم الإسلامي، ج 1،دمشق،دار الفكر.

19. حب الله،حيدر ،(2003) ،علم الكلام المعاصر ،مركز العالمي للدراسات الإسلامية.
20. حميد،عصمت كاظم، (2017) ،موسوعة علم الكلام الوسيط والمعاصر، معالم التجديد عند الدكتور حسن حنفي،بيروت،دار الروافد الثقافية.
21. خان،وحيد الدين،(2015) ،تجديد علوم الدين،نيوديلهي.
22. خان،وحيد الدين،(1974) ،الإسلام يتحدى،بيروت،مكتبة الرسالة.
23. خان،وحيد الدين،(1984) ،قضية البعث الإسلامي المنهج والشروط،دار التأليف.
24. خان، وحيد الدين ،(1987) ،الدين في مواجهة العلم،بيروت،دارالنفائس.
25. شبار،سعيد ،(2016)، ،مختصر كتاب الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر ،فرجينيا،المعهد العالي للفكر الإسلامي.
26. شقير،محمد،(د.ت)،دراسات في الفكر الديني،بيروت،دار الهادي.
27. شميتكه،زابينيه،(2018) ،المرجع في تاريخ علم الكلام،ج2،بيروت،مركز نماء للبحوث والدراسات.
28. طه،عبد الرحمن،(2000) ،في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،الدار البيضاء،المركز الثقافي العربي.
29. عباس،محمد فاضل،(2017) ،موسوعة علم الكلام الوسيط والمعاصر ،بيروت،دارالروافد العربية.
30. قراملكي، فرامز،(1998) ،تحليل مفهوم التجدد في الكلام الجديد.
31. محسن،عبد الحميد،(2002) ،النورسي متكل العصر الحديث،القاهرة،شركة سوزلر.
32. نعمان،صالح،دت،التجديد في علم التوحيد عند وحيد الدين خان، مجلة جامعة الأمير عبد القادر, العدد19.
33. وغليسي،يوسف،(2008) ،إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد،بيروت،الدار العربية للعلوم.
34. يوسفيان،حسن،(2016) ،دراسات في علم الكلام الجديد،بيروت.